ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

تاريخ الجامعات الأوروبية منذ النشأة وحتى نهاية العصور الوسطى

د. سعود غسان أحمد البشر
جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: salbsheer@ksu.edu.sa

الملخص

مرَّت القارة الأوروبية بمرحلة نُكوص منذ سقوط روما، فكثُرت الاضطرابات السياسية، وضعُفت الحالة الأمنية، وازدادت الأوبئة، وقلَّ عدد سكان القارة، وتُسمَّى مرحلة ما بين سُقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الخامس الميلادي وحتى نهايات القرن الخامس عشر بمرحلة العصور الوسطى في القارة الأوربية، أو يُطلَق عليها العصور المظلمة. وبالرغم من الانحطاط الثقافي والحضاري الذي مرَّت به القارة الأوروبية في العصور الوسطى إلا إن هناك مُنجزًا حضاريًّا كبيرًا ابتُكر في تلك الحقبة، واستمرَّ دورة المنير إلى اليوم، وهو نشأة الجامعات. وقد تكوَّنت كثير من الجامعات الأوروبية من رحم المدارس الكاتدرائية ومدارس الأديرة، وبالرغم من صعوبة تحديد وقت دقيق لتأسيس العديد من الجامعات الأوروبية إلا أن الكثير من المؤرِّخين يعتقد أن جامعة بولونيا في إيطاليا هي أقدم جامعة في القارة الأوروبية من حيث التأسيس. وتتصف الجامعات القديمة بشكل عام بالصبغة الدينية، وقد تَمَّ تصنيف الطلاب والأساتذة في الجامعات بأنهم من رجالات الكنسية، لذلك تَمَّت معاملتهم بشكل خاص، وقد حظِيت الجامعات بدعم كبير من البابوية والسُّلطات المدنية. ويهدف هذا البحث التاريخي إلى الكشف عن أبرز الحقائق التاريخية المتعلِّقة بالجامعات الأوربية في القرون الوسطى. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي؛ لمناسبة الهدف الرئيس من البحث، ووجدت الدراسة العديد من الحقائق التاريخية حول الجامعات الأوروبية القديمة في موضوعات الطلاب والأساتذة والشؤون العلمية والإدارية، كما وجدت الدراسة معلومات حول استفادة الجامعات الأوربية في القرون الوسطى من التراث العربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الجامعات الأوربية، العصور الوسطى، تاريخ التعليم العالي، الجامعات القديمة.

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

The History of European Universities from their Beginnings until the end of the Middle Ages

Dr. Saud G. Albeshir
King Saud University, Saudi Arabia
Email: salbsheer@KSU.EDU.SA

ABSTRACT

The European continent has gone through a period of decline since the fall of Rome. The period between the fall of the Roman Empire in the late fifth century until the end of the fifteenth century is called the Middle Ages on the European continent or the Dark Ages. Despite the cultural and civilizational decline that the European continent went through in the Middle Ages, a significant cultural achievement was the invention of universities. Many European universities were formed out of cathedral schools and monasteries. Although it is difficult to determine the exact time for the founding of many European universities, many historians believe that the University of Bologna in Italy is the oldest university on the European continent. Old universities are generally characterized by a religious character, and university students and professors were classified as men of the church, so they were treated uniquely. The universities received tremendous support from the papacy and civil authorities. This historical research aims to reveal the most prominent historical facts about European universities in the Middle Ages. The researcher used the historical method. The study discovered many historical facts about ancient European universities on the topics of students, professors, and scientific and administrative affairs. The study also uncovered how medieval European universities benefited from Arab and Islamic philosophers, scientists, and physicians.

Keywords: history of European universities, the Middle Ages, history of higher education, ancient universities.

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

المقدّمة

يُطلِق المؤرِّخون مفهوم (القرون الوسطى) في أوروبا على قرابة العشرة قرون الواقعة بين سقوط روما عام 476 التي كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة إلى بداية عصر النهضة في القرن الخامس عشر. وكانت أوروبا الغربية في تلك المرحلة تعيش في ظُلمات وجهل بعد أن كانت الجمهورية الرومانية -والتي تحوَّلت إلى إمبراطورية- مُتقدِّمة في مجالات كثيرة، خاصة وأنها ورثت الكثير من الإرث الإغريقي العريق، وقد تفوَّق الرومان في كثير من المجالات، ومن أبرز منجزاتها الإنسانية هي المنجزات العسكرية والعمارة، والتي لا تزال الميادين الرومانية في كثير من الدول شاهدة على حضارة سادت ثم بادت. وقد انتشرت النصرانية في أوروبا بشكل سريع في نهاية القرن الثاني والثالث الميلاديين بالرغم من الاضطهاد الديني والتعذيب لأتباع الدِّين الجديد، لكن جميع محاولات السُّلطات السياسية والدينية في الإمبراطورية فشلت في إيقاف تحوُّل الناس إلى النصرانية، واستمرَّت النصرانية بالانتشار في أرجاء الإمبراطورية الرومانية التي تُغطِّي الكثير من المناطق في العالَم بما فيها مناطق عربية. وفي عام 313 صدر مرسوم ميلان الذي يُعلن فيه حياد الإمبراطورية والسماح للنصارى بممارسة طُقوسهم وشعائرهم، بل إن الإمبراطور قسطنطين نفسه اعتنق النصرانية بعد رُؤية رآها في منامه. ويعتقد بعض المؤرِّخين أن انتشار النصرانية وسيطرة الكنيسية ساهم في انحطاط الحضارة الغربية وذُبولها، ولا تُوجد أدلَّة أكثر وضوحًا من مراجعة تاريخ البابوية والفاتيكان وحالات الفساد السياسي والأخلاقي والإداري. وقد سيطر الجهل والتخلُّف على قارة أوروبا لقرون عديدة بعد سقوط روما في ظلِّ محاربة الكنيسة للعلم والعلماء، من أشهر الأمثلة على ذلك: محاربة رجالات الكنيسة للعالِم جاليليو جاليلي بسبب دعمة لمركزية الشمس (Bishop, 2001;Blockmans,2014).

وبالرغم من سوداوية المعطيات في العصور الوسطى في مُعظم أجزاء قارة أوروبا إلا أنَّ لكل قاعدة شواذ، فمن الأمور والمنجزات الكبرى في التاريخ الأوروبي: نشأة الجامعات وانتشارها وتطوُّرها، حتى باتت الجامعات منتشرة في جميع دول العالَم، وقد سبق تأسيس الجامعات الأوربية تأسيسُ ما يُمكن أن يُطلَق عليه مُسمَّى جامعة علمية في العالَم العربي الإسلامي، مثل جامعة القرويين وجامعة الأزهر، وإن كان بعض المؤرِّخين يعتقد أنه يُمكن إطلاق لقب جامعة على دار الحكمة التي أسَّسها الخليفة العباسي المأمون في بغداد. وقد استفادت الجامعات الأوربية القديمة من التقدُّم العلمي في ذلك الوقت في العالَم العربي والإسلامي، لذلك تَمَّت ترجمة الكثير من الكُتُب من العربية إلى اللاتينية في ذلك الوقت في شتَّى العلوم والمعارف، كما إن أوروبا عرفت استخدام الورق للكتابة عن طريق العرب، وهو ما ساهم في نقل الأفكار والمعلومات عن طريق الكتابة ونقلها من جيل إلى آخر(عاشور، 2007).

ويُشير المؤرِّخون إلى أنه من الصعوبة بمكان تحديد تواريخ دقيقة لانطلاق عدد من الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى؛ بسبب أن بداية تأسيس تلك الجامعات كان بشكل غير رسمي من قِبَل الطلاب، حيث كان الطلاب هم الذين أسَّسوا الكثير من الجامعات القديمة، ومن أسباب صعوبة تحديد تواريخ محدَّدة أيضا للجامعات: عدم القدرة على تحديد مفهوم دقيق لنشأة الجامعات، فهل يُقصد بها أوَّل اجتماع لإدارة الجامعة؟ أو هل يُقصد بها أول محاضرة تَمَّ إلقاؤها في تلك الجامعات؟ أو هل يُقصد تاريخ اعتمادها من البابا أو الإمبراطور أو من سُلطات المدنية؟ وهذا ما يجعل الكثير من التساؤلات تُطرح حول دقَّة تواريخ تأسيس هذه الكيانات العلمية. ويُعتقد أن جامعة بولونيا في شمال إيطاليا هي أوَّل جامعة في قارة أوروبا، وذلك عام 1088 للميلاد، ثم تبعها تأسيس الكثير من الجامعات (Rashdall، 1885).

ولم يكن تأسيس الجامعات قد جاء بشكل مُفاجئ وعَرَضي، لكن كانت هناك مُبادرات للنهوض بالعِلم في أوروبا، من أبرزها ما قام به الإمبراطور شارلمان المتوفَّى عام 814، حيث قام بإحياء نهضة علمية سُمِّيت باسم الإمراطور ، وقد وجد في المدن الأوربية الرئيسة مدارس ابتدائية ونحوية، وكذلك وجد مدارس في الكنائس الرئيسة، وقد كانت المدارس الكاتدرائية والمدارس الرهبانية هي الأساس الذي ساهم في تكوين الجامعات، وقد كانت الجامعات القديمة في أوروبا بشكل عام تهدف إلى إعداد رجالات الكنيسة والدِّين في المجتمع الأوروبي، لذلك حصلت تلك الجامعات على مُباركات واعترافات ومراسيم من البابا وكذلك امتيازات من السُّلطات المدنية. ويهدف هذا البحث إلى التعرُّف على أهمِّ أبرز معالم الجامعات الأوربية في قرونها الثلاثة الأولى(يوسف،

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

.(1981

أوَّلًا: نشأة الجامعات وانتشارها:

مصطلح جامعة في اللغة اللاتينية (Universitas) كان مُصطلحًا رائجًا في أوروبا في العصور الوسطى، حيث كان لا يعني سوى تجمُّع عدَّة أشخاص تحت مظلَّة واحدة مثل رابطة أو جمعية أو نقابة واحدة، حيث كانت هناك جامعات للمهن المتشابهة مثل جامعات للحرفيين وجامعات للتجار، أما مكان الدراسة والتدريس فكان يُطلَق عليه المدرسة العامة (Studium generale). وفي نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر أصبح المصطلح يُطلق بشكل حصري على المنظَّمات التي تعمل بالجانب العلمي، وتمنح درجات علمية، وفيها أساتذة وطلاب ومناهج تمامًا مثلما يُفهم من مصطلح جامعة في الوقت الحالي. ولم يكن لكثير من الجامعات القديمة مقرَّات دائمة في بداية الأمر، ولم يكن يُوجد فيها كليات، حيث أُسِّست الكليات بعد عقود طويلة وربما بعد قرون من تأسيس الجامعات. ولا شكَّ في أن الجامعات الحديثة حول العالَم هي امتداد طبيعي للجامعات الأوروبية القديمة، بل حتى إن مُسمَّيات الدرجات العلمية وكثيرًا من التقاليد والثقافات الجامعية لا زالت مُستمرَّة، بل حتى أزياء التخرُّج في الجامعات الغربية هي مُشابهة لتلك المستخدَمة في الجامعات القديمة(Rashdall, 1885;Symoens، 1992).

وقد تكوَّنت كثير من الجامعات الأوروبية القديمة من المدارس الكاتدرائية والرهبانية، وكانت الجامعات القديمة في معظمها لديها صبغة دينية، وقد نشأت الجامعات الأوروبية في ظلِّ غياب جهات مركزية مُشرِفة على التعليم، وهذا من أسباب وجود اتصالات مباشرة بين الجامعات القديمة والسُّلطات الدينية والمدَنية، وقد وجدت السُّلطات تكوين الجامعات فكرة جيدة؛ حيث يسهل الرقابة عليها، وحيث يجتمع مجموعة من الأساتذة والطلاب تحت مظلَّة تنظيمية واحدة بعد ما كان لكل أستاذ مدرسته الخاصة، ومما يجعل الرقابة أمرًا في غاية الصعوبة، خاصة في ظلِّ غياب الكثير من الحريات الأكاديمية في تلك المرحلة في أوروبا. وبالرغم من صعوبة تحديد تاريخ دقيق لنشأة الجامعات الأوروبية كون أن كثيرًا من الجامعات كانت مدرسة أو أكثر قبل عقود أو ربما قرون قبل تأسيس الجامعة مثل جامعة ساليرنو التي اشتُهرت في الميدان الطبي، فقد كانت مدرسة عريقة للطب، ويصعب تحديد متى تحوَّلت المدرسة إلى جامعة، والسبب الآخر لصعوبة تحديد تاريخ محدَّد لتأسيس الجامعات أن بعض الجامعات تأسَّست بجهود فردية من قِبَل مجموعة من الطلاب والأساتذة دون الحصول على تصاريح رسمية في بداية الأمور، وبعد التأسيس بسنوات طويلة يتمُّ الاعتراف من البابوية أو السُّلطات المدَنية باستثناء بعض الجامعات، حيث قامت بسبب أوامر من السُّلطات المدَنية أو الدينية. ومن أسباب صعوبة تحديد تاريخ محدَّد لنشأة بعض الجامعات القديمة أنه من الصعوبة إيجاد آلية واضحة لتحديد تاريخ لتأسيس الجامعة؛ كون أن الجامعات لا تحتاج تصاريح في مراحلها الأولى، والبعض يُحدِّد تاريخ التأسيس من بداية تكوين بعض الحلقات العلمية، والبعض الآخر يعتقد أن تأسيس الجامعة يبدأ من تكوين إدارتها، وهنا تكمن صعوبة تحديد تاريخ واقعي لكثير من الجامعات في العصور الوسطى. ويعتقد المؤرِّخون أن جامعة بولونيا في إيطاليا هي الأقدم، ويُعتقد أن تأسيسها كان عام 1088 للميلاد على يد من الطلاب الدوليين، وهي جامعة لا تزال تعمل إلى اليوم، ومن ثَمَّ تأسَّست جامعة أكسفورد في حوالي عام 1096، ويعتقد البعض أن التأسيس كان بعد سنوات من هذا التاريخ، وهي أيضًا من الجامعات النُّخبويَّة المستمرة إلى اليوم، ثم تأسَّست جامعة باريس عام 1150، ويعتقد بعض المؤرِّخين أن جامعة باريس يرجع تاريخها إلى أقدم من ذلك، وهي جامعة لم تعد قائمة، ومن ثَمَّ تأسَّست وانتشرت جامعات كثيرة في فترة قصيرة في أنحاء القارة الأوروبية مثل جامعات كامبريدج، بادوفا، تولوز وغيرها من الجامعات الأوربية في العصور الوسطى. ورغم انتشار الجامعات إلا أنه كان هناك نموذجان أو نمطان في إدارة الجامعات تَمَّ الاقتداء بهما في جميع الجامعات الأوروبية في القرون الوسطى؛ النمط الأوَّل: هو النمط أو النموذج المطبَّق في جامعة بولونيا، حيث إن اتحاد الطلاب هو مَن يُدير الجامعة، وقد تَمَّ الاقتداء بهذا النموذج في كثير من الجامعات القديمة خصوصًا في إيطاليا. أمَّا النمط الثاني: فهو ما قامت به جامعة باريس، حيث قام اتحاد الأساتذة بتأسيس وإدارة الجامعة، وهذا النموذج هو السائد في الكثير من الجامعات الأوربية في القرون الوسطى(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

ثانيًا: الأساتذة:

يحمل الأساتذة في الجامعات القديمة درجة الماجستير في الآداب في الغالب، وهي الدرجة التي تُؤهِّل الراغبين في العمل كأستاذ جامعي في الجامعات الأوروبية، فيما يجب أن يحصل الأساتذة في القانون والطب والإلهيات

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

على درجة الدكتوراة، وقد كانت الجامعات خيارًا مميَّزًا للأساتذة بعد أن كانت هناك منافسة شرسة بين الأساتذة عندما كانوا يُديرون مدارسهم الخاصة، ويسعون لجلب الطلاب، بينما في الجامعات تكون المنافسة أقلَّ حدَّة، والأمان الوظيفي أعلى في ظلِّ عمل مُنظَّم إلى حدٍّ كبير مقارنة بالمدارس التي تُدار من قِبَل الأستاذ نفسه. وقد كان معظم الأساتذة في بداية تكوين الجامعات من الرُّهبان، لذلك كان معظمهم غير مُتزوِّجين، حيث تحرم الكنيسة الأشخاص المتزوِّجين من تولِّي المناصب العُليا في الكنائس الرئيسة، وكان هناك حرصٌ على استقطاب الأساتذة ذوي الكفاءة للعمل في الجامعات الأوروبية القديمة، ومن الأمثلة على ذلك ما تضمَّنه مرسوم البابا غريغوري التاسع لجامعة باريس عام 1231، والذي ركَّز فيه على أهمية اختيار الكفاءات ذات المستوى العالي؛ حفاظًا على جودة المستوى العلمي للجامعة (يوسف، 1981).

وقد يُوكل التدريس للأشخاص الحاصلين على درجة البكالوريوس، لكن تحت إشراف الأساتذة الحاصلين على الماجستير، ومَن يحصل على الماجستير يُخوَّل للتدريس في أي جامعة، خاصة وأن جامعات القرون الوسطى كانت تستخدم اللغة اللاتينية كلغة للتدريس؛ مِمَّا يُسهِّل انتقال الطلاب والأساتذة بين الجامعات، والتنقُّل بين الجامعات كان أمرًا سائدًا في تلك المرحلة، ولم يكن هناك درجات علمية تُميِّز الأساتذة مثلما هو عليه اليوم، وفي بداية تكوين الجامعات لم يُستخدم مصطلح بروفيسور كمرتبة علمية تُميِّز بعض الأساتذة عن بعضهم، ولكن بدأ في استخدام مصطلح بروفيسور في القرن الرابع عشر الميلادي.

وفي بداية تكوين الجامعات كان لا يُوجد رواتب ثابتة للمُعلِّمين، حيث كان يُعتقد أن العلم هِبة من الربِّ، ويجب مُشاركتها مع الآخرين دون مُقابل، لكن كان يُسمح للمُعلِّمين بتلقِّي الهدايا من قِبَل الطلاب، وكان من المتوقَّع أن يُعطي الطلاب المعلِّمين بعض الأموال أو السِّلَع لكي يعيشوا منها. لكن الوضع كان مختلفًا في جامعة باريس؛ بسبب أن تأسيس الجامعة جاء عن الطرُق الرسمية وبمساعدة السُّلطات المدَنية والبابوية، حيث كان الأساتذة يُعطَوْن أُجورًا ثابتة، ثم أصبح إعطاء الأجور أمرًا مقبولًا للأساتذة الجامعيين.

ومن الممارسات القديمة في تحديد الرواتب هي أن الأساتذة يُفوِّضون أحد الطلاب الذين يثقون بهم لمفاوضة الطلبة الآخرين لتحديد الأجرة العادلة للأستاذ، وقد كان لرابطة الطلاب في جامعة بولونيا سُلطة كبيرة على الأساتذة، فهم الذين يُحدِّدون أجورهم، بل يستطيع الطلبة مُعاقبة الأساتذة الذين يقومون ببعض المخالفات مثل عدم تغطية جوانب من المقرَّرات أو يتأخَّرون عن موعد المحاضرات، بل حتى تتمُّ مُساءلة الأساتذة الذين يكثر تغيُّب طلابهم عن المحاضرات، وقد يتمُّ تغريمه. بل كان الأساتذة في جامعة بولونيا لا يُسمح لهم بالسفر إلا بعد أخذ مُوافقة من رابطة الطلاب في جامعة بولونيا. ولم يكن الأساتذة في جامعة باريس موضوعين تحت رحمة الطلاب؛ حيث إن الأساتذة هم مَن يُديرون الجامعة، ولهم اليد العُليا فيها، وقد تأسَّست في جامعات العصور الوسطى في وقت لاحق نقابات الأساتذة في الجامعات؛ للمطالبة بحقوقهم الوظيفية والمدَنية، ومن الملاحظ أن الأساتذة في الجامعات القديمة لم يتمتَّعوا بالحرية الأكاديمية والفكرية التي يتمتَّع بها الأساتذة في الجامعات الأوربية المعاصرة، حيث كانوا يتعرَّضون لمضايقات كثيرة ومحاكمات وتُهم، ومن ذلك اتِّهامهم بالكفر والهرطقة(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens, 1992).

ثالثًا: الطلاب:

يرجع الفضل في تكوين الجامعات الأوروبية إلى الطلاب؛ بسبب أنهم هم الذين أسَّسوا الجامعة الأولى في أوروبا، وهي جامعة بولونيا، وقاموا أيضًا بإدارتها، وقد ساهم نجاح جامعة بولونيا وصداها الكبير في انتشار الجامعات إلى اليوم التي لا تكاد تخلو مدينة كبيرة في العالم من جامعة، ويلتحق الطلاب في الجامعات القديمة بالجامعة في سِنٍّ مُبكِّرة، فمعظم مَن يلتحق بالجامعة يكون في سِنِّ المراهقة بين سِنِّ 14 و 15 سنة، بعكس واقع الجامعات المعاصرة، والتي يكون مُتوسِّط أعمار الملتحقين لمرحلة البكالوريوس ما بين سِنِّ 18 و 19 عامًا. وقد أسَّس الطلاب في الجامعات القديمة نقابات أو اتحادات لهم، واستمرَّت هذه الثقافة إلى اليوم في جامعات العالَم، حيث دائمًا ما يكون للطلاب صوتٌ مسموع ومسيرات ومُظاهرات للمُطالبة بالحقوق.

وكان التعليم في الجامعات مُقتصِرًا على الذكور دون الإناث بشكل عام(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

لكن هناك بعض الاستثناءات فقد كانت هناك طالبة درست في جامعة بولونيا تُدعى بيتيسيا جوزاديني، وتخرَّجت في جامعة بولونيا في عام 1237، وبعد التخرُّج قامت بتدريس القانون في منزلها قبل أن يتمَّ تعيينها أستاذة للقانون في جامعة بولونيا، وقد فُرِض عليها لبس الحجاب واللبس المحتشم وتجنُّب الحوارات الجانبية؛ حتى لا

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

تُشتِّت انتباه الطلبة الذكور، ويُعتقد أن بيتيسيا جوزادیني كانت من أوائل الطالبات الإناث -إن لم تكن الأولى- اللاتي تخرَّجن من جامعات أوروبا، وهي بلا شكٍّ أوَّل أنثى تتولَّى منصبًا تدريسيًّا في جامعات أوروبا(Peril،2006).

وتُشير المصادر التاريخية إلى تواجُد طلاب دوليين منذ تأسيس الجامعات الأوربية، بل إن بعضًا مِمَّن أسَّسوا جامعة بولونيا كانوا من خارج إيطاليا، ويُشير موقع جامعة أكسفورد(2023) إلى أنه في عام 1190 كان هناك شخص يُدعى ايمو الفريزي، وكان من أوائل -إن لم يكن الأوَّل- الطلاب الدوليين في الجامعة، وهو من القبائل الجرمانية التي تقطن في أجزاء من هولندا وألمانيا، ويُذكر أن هناك اختلافًا حول وقت انطلاق جامعة أكسفورد بالتحديد، لكن هناك شواهد بأنَّها بدأت في عام 1096.

وكان يغلب على طلاب الجامعات أنهم من أُسَر مُقتدرة ماديًّا؛ بسبب أن الطلاب غالبًا ما يكونون أجانب أو من مناطق بعيدة، فيجب عليهم تأمين السكن ورُسوم الدراسة والإعاشة، وهذا يتطلَّب أن يكون هناك دعمٌ ماليٌّ للطلاب من قِبَل أهاليهم، وكما كانت بعض الكنائس تدعم بعض الطلاب ماديًّا على شرط التخرُّج والعمل في تلك الكنائس كرجال دِين. وكان الطلاب يستطيعون الزواج خلال دراستهم الجامعية إلا إذا كانوا رهبانًا أو يرغبون في أن يُصبحوا في مناصب قيادية في الكنيسة، فإنه يجب عليهم عدم الزواج؛ لأنه من المتوقَّع أن يتولَّى خريجو الجامعات مناصب عُليا في الكنائس، والتي يجب أن لا يتولَّاها إلا الأعزب، وقد كان الطلاب الجامعيون يقصُّون شَعرهم ويتركون جزءًا منه خاصة الأطراف، وقد كانت هذه العادة من دلالات التديُّن والتواضع لرجالات الدِّين في العصور الوسطى، وقد أمر بابا الكاثوليك في عام 1972 بالتخلِّي عن قَصَّة الشَّعْر المذكورة، كما كانت هناك قيود وشروط صارمة على الزيِّ الجامعي للطلاب والأساتذة.

ولكون الجامعات الأوربية في بداية تكوينها لا تمتلك مقرَّات دائمة فمن البديهي أنَّها لا تمتلك إسكانًا للطلاب، فقد كان الطلاب يسكنون في المساكن كغيرهم من السكان، وكان كثير من الطلاب يُعانون من ارتفاع تكاليف الإسكان؛ لذلك حاول البابا كليمنت الثالث مُساعدة الطلاب في الجامعات وكذلك في المراكز التعليمية الأخرى، حيث أصدر البابا مرسومًا عام 1189 يحظر على الأساتذة والطلاب أن يُعطوا أُجرة للسكن تفوق ما يدفعه الأساتذة أو الطلاب الذين سبقوا المستأجر الجديد في السكن، ثم تطوَّرت الأمور وأصبحت الجامعات تفرض على الطلاب المغتربين السكن في نُزُل معيَّنة تحت إشراف الأساتذة، وتطوَّرت التشريعات والأنظمة التي تُنظِّم أمور الانضباط والإسكان الطلابي مع الوقت، فقد كان من الواجب على الطلاب أن لا يبقوا خارج النُّزُل الطلابي بعد الثامنة مساءً، وإذا أُغلِق النُّزُل لا يُفتح إلا صباحًا، بالإضافة لبعض الاشتراطات الأخلاقية مثل عدم إدخال النساء أو لعب القمار في النُّزُل، ولكن يُسمح بتناول الخمور، ومع تطوُّر اللوائح الطلابية أصبح من المحظورات حمل الأسلحة للطلبة خاصة في ظل كثرة المشاجرات للطلبة الجامعيين مع بعضهم البعض أو مع أفراد المجتمع المحلي.وبالرغم من أن الطلاب كانوا مُلزَمين بتقديم مظاهر التديُّن في المظهر فلم يكونوا مُطالَبين بالتديُّن الحقيقي، حيث كانت لديهم انحرافات واضحة ومخالفات صريحة لتعاليم النصرانية، مثل إحياء الحفلات الماجنة والإفراط في شرب المسكرات والتردُّد على المومسات، ونظرًا لأن الطلاب في الجامعة كانوا من خلفيات ثقافية واجتماعية متنوِّعة فقد كانت العنصرية والتمييز مُتفشِّية بين الطلاب، كما كان للطلاب الجامعين والأساتذة في الجامعات القديمة حصانات رسمية بعد التعرُّض لهم من قِبَل المجتمع المحلي، وكذلك كان لدى طلاب الجامعات حصانات ضد التعرُّض للحجز أو المحاكمات من قِبَل السُّلطات المدَنية أو ما تُسمَّى العلمانية، وحتى لو قام الطلاب بعمل جرائم كُبرى مثل القتل فإنه يُعرض على المحاكم النصرانية وليس المحاكم المدنية مثل بقية السكان؛ كون أن مَنسوبي الجامعات يُعدُّون من رجالات الكنيسة، وهم تبع لها (Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

وقد شهدت المدن التي فيها جامعات الكثير من الجرائم والمشاكل التي سبَّبها طلاب الجامعات في العصور الوسطى؛ بسبب صغر سِنِّ الطلاب الجامعيين، حيث كانوا يلتحقون بالجامعات في سِنِّ المراهقة، كما أن غياب اللوائح الصارمة وعدم وجود إدارة لشؤون الطلاب لمتابعة سلوكيات الطلاب -مثل ما هو موجود في الجامعات الحديثة- قد ساهم في تمادي بعض الطلاب في هذا الشغب.

ويُرجع المؤرِّخون السبب الرئيس لكثرة السلوكيات المخالفة للطلاب أن الطلاب لديهم حصانات ومُسمَّيات رسمية على أنهم رجال دِين، ويجب عدم التعرُّض لهم؛ مِمَّا شجَّع بعض الطلاب على التمادي والاعتداء على المجتمعات المجاورة للجامعات، لذلك دائمًا ما يكون هناك صدامات بين المجتمع وبين هؤلاء الطلاب الصغار، وصل بعضها إلى القتل مثلما تَمَّ في حوادث شهيرة لطلاب جامعة باريس وجامعة أوكسفورد، كما أن من أسباب

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

كثرة المشاكل بين الطلاب الجامعيين والأهالي هي كثرة الطلاب الجامعيين، حيث تراوحت أعداد الطلاب في الجامعات القديمة بين 500 إلى 1500 طالب، وهذا عدد ضخم في تلك الأزمنة، ووجود طلاب مراهقين يعيشون بالقرب من العوائل قد يُسبِّب مُشاحنات، خاصة للأسر التي لديها بنات في سِنٍّ صغيرة، حيث كانت المجتمعات الأوروبية لا زالت محافظة، وعِفَّة بناتها أمر لا نقاش فيه، بعكس الواقع الحالي(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

رابعًا: الشؤون العِلمية والتعليمية:

تميَّزت عدد من الجامعات القديمة عن غيرها في تدريس بعض التخصُّصات تمامًا مثلما هو الحال في الجامعات المعاصرة، وقد تميَّزت جامعة بولونيا بتدريس القانون المدَني، فيما تميَّزت جامعة باريس بتدريس الإلهيات، أمَّا جامعة ساليرنو فقد برعت في تدريس الطب. وفي بداية تكوين الجامعات لم يكن للجامعات مقرَّات دائمة، فمصطلح جامعة يُطلق على الأشخاص المنتمين للجامعة من أساتذة وطلاب، بعكس المتعارف عليه اليوم، حيث يتمُّ إطلاق مصطلح جامعة على المباني التي تُعقد بها المحاضرات وتُدار الجامعة من خلالها. وكان التدريس يتمُّ في الكنائس أو منازل بعض الطلبة أو الأساتذة حتى تَمَّ تخصيص مقرَّات دائمة للجامعات من قِبَل السُّلطات المدَنية بعد ثبوت نجاحها (Symoens، 1992).

اهتمَّت الجامعات الأوربية في العصور الوسطى بتدريس عدد من المواد الدراسية، وبرغم تميُّز جامعات في بعض التخصُّصات مثل تميُّز جامعة باريس في تدريس الإلهيات وجامعة بولونيا في القانون المدَني إلا أن تلك الجامعات تُوفِّر مُقرَّرات دراسية أخرى للطلاب أيضًا، على سبيل المثال: كانت جامعة بولونيا تقوم بتدريس القانون الكنسي لكن لم تكن تشتهر به، ومن أهم المناهج الدراسية في الجامعات القديمة: القانون الكنسي، القانون المدني، الإلهيات، الفلسفة والمنطق، الأدب اللاتيني، بالإضافة للطب. كما اشتملت أيضًا المناهج الدراسية على تدريس الرياضيات والعلوم واللغات الأجنبية والموسيقى.

وفي فترة العصور الوسطى، كانت الجامعات تُدرِّس الفنون الحرة السبعة التي ذكرها الفيلسوف أفلاطون في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، وكانت الفنون السبعة مقسَّمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى: تحتوي على ثلاثة مجالات تسمَّى تريفيوم، والمجموعة الثانية: تشمل أربعة مقرَّرات يُطلق عليها كوادريفيوم. تتكوَّن المجموعة المكوَّنة من ثلاثة مقرَّرات من النحو والبلاغة والمنطق. وقد ركَّزت القواعد على دراسة اللغة، بما في ذلك الاستخدام الصحيح للغة اللاتينية، التي كانت لغة التدريس في معظم الجامعات في ذلك الوقت، وشدَّدت البلاغة على فنِّ التحدُّث والكتابة المقنع، وتعليم الطلاب كيفية توصيل أفكارهم بشكل فعَّال، وعلم المنطق - المعروف أيضًا باسم الجدلية- يُعلِّم الطلاب مبادئ التفكير والتفكير النقدي والجدَل، ومن ناحية أخرى، اشتملت المجموعة الثانية من الفنون الحرة السبعة على أربعة مجالات: هي الحساب والهندسة والموسيقى وعِلم الفلَك. وقد غطَّى مقرَّر الحساب العمليات الحسابية الأساسية، كما تهتمُّ الهندسة بمبادئ الشكل والقياس والعلاقات المكانية، وشملت الموسيقى الجوانب النظرية والعملية، وكان الطلاب يتعلَّمون أيضًا موضوعات عن عِلم الفلَك بما يشمله من دراسة الأجرام السماوية وحركتها وتأثيرها على الأحداث الأرضية.

وفي مرحلة الدكتوراة يتخصَّص الطلاب بأحد المجالات الثلاثة؛ وهي القانون أو الطب او الإلهيات، وكانت مدَّة دراسة الدكتوراة طويلة قياسًا على الوقت الحاضر، ويُتوقَّع أن يكون متوسِّط دراسة الدكتوراة 12 عامًا، وتتشابه مُسمَّيات الدرجات العلمية الممنوحة في جامعات العصور الوسطى والجامعات المعاصرة، حيث يتمُّ منح درجات البكالوريوس في الآداب ودرجة الماجستير في الآداب ودرجة الدكتوراة في الطب والقانون والإلهيات (Symoens، 1992).

يُذكر أن مُسمَّيات الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعات -وهي بكالوريوس وماجستير ودكتوراة- موجودة قبل تكوين الجامعات في العصر الأوسط، ولم تكن هذه التسميات أو التصنيفات من ابتكار الجامعات في المقام الأوَّل، وكانت تُمنح أو تُطلق مُسمَّيات الدرجات العلمية لبعض رجالات الدِّين ذوي المناصب العالية في الكنائس، ولكن لم تمنح درجة دكتوراة الفلسفة إلا في القرن السابع عشر في ألمانيا (البشر، 2021).

وقد كانت فترات الدراسة تختلف باختلاف الدرجة العلمية، وكانت الدراسة تتراوح ما بين 5 إلى 6 سنوات في مرحلة البكالوريوس في جامعات العصور الوسطى، ويتمُّ اختبار الطلاب في نهاية مدة الدراسة؛ ليتحدَّد حصوله على الدرجة العلمية من عدمه، أما الطلاب فغالبًا ما يستهدفون تحصيل درجة ماجستير الآداب، وهي الشهادة التي تخولهم للتدريس الجامعي ومناصب عُليا في الدولة والكنيسة، وكان متوسِّط الدراسة في هذه المرحلة 7

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

سنوات، أيضًا يتمُّ تكوين لجنة من الأساتذة لتقييم تعلَّمه الطلاب، وغالبًا ما يتمُّ تقديم مشروع تخرُّج أو بحث كإثبات كفاءة الخريج العِلمية، أمَّا في مرحلة الدكتوراة فقد كانت مدَّة الدراسة فيها 12 سنة تقريبًا، وكانت تُمنح في تخصُّصات مُعيَّنة؛ هي القانون والطب والإلهيات من منظور نصراني، وكان التخصُّص الأخير هو الأكثر تعقيدًا وصعوبة.

ورغم التحاق عدد كبير من الطلبة بالجامعات إلا إن عدد مَن يُكمل الدراسة كان عددًا محدودًا من الطلاب، وكانت نِسَب الرسوب عالية أيضًا، قد يكون من التوقُّعات لكثير من الطلاب في جامعات العصور الوسطى أنهم لن يُكملوا الدراسة الجامعية؛ نظرًا لطول سنوات الدراسة، لكن كان نظر الطلاب في ذلك الزمان للالتحاق بالجامعات من أجل طلب العلم فقط، وأن تحصيل جزءٍ من العلم خير من الجهل، بالإضافة لعدم اشتراطات جهات التوظيف الحصول على المؤهَّل الجامعي، مع وجود استثناءات بسيطة مثل العمل في التدريس أو تولِّي مناصب عُليا. ومن أسباب ارتفاع نسبة التسرُّب في الجامعات القديمة وعدم وجود مصادر تمويل كافية لدى كثير من الطلاب، حيث لم تنتشر ممارسات العمل الجزئي للطلاب مثلما هو موجود في الوقت المعاصر في الجامعات، والتي يقوم فيها جزءٌ من الطلبة بالعمل الجزئي داخل أو خارج الحرم الجامعي؛ لتأمين جزءٍ من نفقاتهم الجامعية وتسديد الرسوم الدراسية. وبالرغم من وجود أمثلة على المنح الدراسية المدفوعة من طرف ثالث في الجامعات القديمة إلا أنها لم تخلُ من استغلال منفِّذي ذلك في الجامعات، حيث يتمُّ إعطاء تلك المنح للطلاب غير المستحقِّين بناءً على معايير غير موضوعية.

وقد كان التلقين هو الأسلوب السائد في جامعات العصور الوسطى، وهذا الأسلوب يتناسب مع الطلبة مِمَّن يتمتَّعون بقوَّة الذاكرة، وكان التواصل الشفهي هو السائد، بعكس الجامعات المعاصرة التي تعتمد على المواد المكتوبة بشكل مُكثَّف، ويرجع السبب في تبنِّي أسلوب التلقين هو ندرة الكتُب وغلاء أسعارها في ذلك الوقت قبل اكتشاف الطابعة في القرن الخامس عشر، وكان من غير المستغرَب أن يتخرَّج بعض الطلاب من الجامعة دون امتلاك مهارات عالية من الكتابة والقراءة في القرون الوسطى، حيث إن الاختبارات والمناقشات كلها تتمُّ بطريقة شفهية.

وأيضًا لم يكن يُتوقَّع من أساتذة الجامعات القديمة أن يكونوا مُفكِّرين أو مُبدعين، بل يُكتفى بأن يكونوا مُقلِّدين، ولم يكن لامتلاك واهتمام الأساتذة بالبحث العلمي في جامعات العصور الوسطى أيُّ اهتمام، حيث لم تهتم الجامعات الأوربية بجانب البحث العلمي ودور الأساتذة فيه إلا في نهايات العصور الوسطى.

وكانت أوقات المحاضرة تبدأ في بداية اليوم وحتى قبل شروق الشمس وحتى وقت الظهر، فيما قد يكون هناك محاضرات في أوقات ما بعد الظهر، ولكن تكون في موضوعات أقل أهمية من تلك التي تُدرَّس في بداية اليوم. أمَّا الجداول الدراسية فقد كانت جامدة ومُوحَّدة لجميع الطلاب، بعكس طلاب الجامعات في الوقت الحالي والذي يُتاح لهم تصميم جداولهم الدراسية الجامعية واختيار مواد اختيارية من غير التخصُّص وغير ذلك، وتمامًا مثل ما هو مُمارس في الجامعات المعاصرة يتمُّ الاحتفال بتخرُّج الطلاب بحضور الأساتذة ومسؤولي الجامعات، ويلبس الطلاب اليوم في الجامعات الغربية أزياء تخرُّج شبيهة بتلك التي كانت مستخدمة في القرون الوسطى، ولا غرابة في ذلك فالجامعات الحديثة هي امتداد للجامعات الأوربية القديمة.

أمَّا العطلات في الجامعات القديمة بشكل عام فقُد كانت مقاربة للعطلات في الجامعات الغربية الحالية، حيث تكون هناك إجازة طويلة في فترة الصيف، بالإضافة لإجازات أخرى لمدة أسبوعين أو أقل قليلًا في أوقات أعياد الميلاد وعيد الفصح، بالإضافة ليوم الإجازة الرسمي الأسبوعي الذي كان يوم الخميس(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

خامسًا: الشؤون الإدارية:

لقد وُجد نموذجان سائدان لإدارة الجامعات في الجامعات الأوربية في العصور الوسطى، أحدهما: نموذج إدارة جامعة بولونيا، والثاني: النموذج الإداري لجامعة باريس. وقد تأسَّست جامعة بولونيا من قِبَل الطلاب وليس الأساتذة، فهي تُعتبر جامعة تُدار بواسطة الطلاب، وهم الذين يُحدِّدون المقرَّرات المطلوبة، والطلاب أيضًا مسؤولون عن انتخاب رئيس للجامعة، وكان من الطلاب، بالإضافة إلى المسؤوليات الأخرى مثل تعيين وفصل الأساتذة والتفاوُض مع السُّلطات المحلية. أمَّا النموذج الإداري الآخر فهو نموذج جامعة باريس، حيث تُدار من قِبَل الأساتذة، وهم الذين يقومون بتنظيم العمل فيها.

ولم تكن المسؤوليات الإدارية في الجامعات القديمة كثيرة ومعقَّدة مثل ما هو عليه في الجامعات الحديثة، ولم يكن

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

هناك سوى مدير واحد للجامعة يقوم ببعض المسؤوليات، ولا وجود لإدارات شؤون الطلاب والتخطيط والشؤون الأكاديمية في الجامعات القديمة، وبعد تكوين الجامعات بعقود طويلة وربما أكثر من قرن من الزمان تكوَّنت الكليات بعكس الواقع اليوم، حيث إن الكليات تسبق تكوين الجامعات، وقد ساهمت الكليات في تنظيم العمل في كثير من الملفات خاصة في قضايا وضع معايير القبول بالبرامج الدراسية وتنظيم العمل داخل الكليات. وقد كانت العلاقة بين الجامعة والكليات مختلفة عمَّا هو عليه اليوم، حيث كانت الكليات أكثر استقلالية مما هي عليه الكليات الآن، وقد كانت مسائل القبول في الجامعات تفتقد المعايير الواضحة الموجودة في الجامعات الحديثة، وعلى المتقدِّم لطلب الدراسة في الجامعات القديمة تقديم توصيات تُزكِّي المتقدِّم للدراسة الجامعية، وكانت الشروط غير منظَّمة بشكل كبير، ويختار الأساتذة طلابهم بشكل مباشر. وفي بداية تكوين الجامعات في إيطاليا كان تمويل الجامعة قائمًا على الرسوم الدراسية التي تُحصَّل من الطلاب بدون أي دعم خارجي، لكن نظام التمويل كان أفضل في جامعة باريس، حيث كان هناك تنوُّع في مصادر التمويل، فلم يكن يُكتفى بالرسوم الدراسية المدفوعة من قِبَل الطلاب، بل كان هناك دعم أيضًا من قِبَل السُّلطات المدَنية. وبعد نجاح فكرة الجامعات بدأت الحكومات المحلية والمحسنين في دعم الجامعات وتقديم تسهيلات لهم والإعفاء من الضرائب بالإضافة إلى تقديم الضمانات والاعتمادات(Grendler, 1999; Rashdall, 1885;Pedersen, 1997;Symoens، 1992).

سادساً: العلاقة بين الجامعات والكنيسة والتاج:

كانت العلاقة قويَّة بين الكنيسة والجامعات الأوروبية في العصور الوسطى بشكل عام، حيث تأسَّست كثير من الجامعات من مدارس أسقفية، وقد تلقَّت كثير من الجامعات في تلك الأزمنة مراسيم قيامها من البابا، وبالرغم من حصول الجامعات على مراسيم استقلالية وحصانات من البابوية أو ما يُسمَّى الحاكم الديني، وكذلك مراسيم من الحكام المدَنيِّين أو ما يُسمَّوْن الحكام العلمانيين إلا إن الجامعات لم تكن تتجرَّأ على مخالفة التوجُّه العام للكنيسة. وأيضًا تُشير المصادر التاريخية إلى أن كثيرًا من أساتذة الجامعات هم رجال الدِّين، بل حتى إن رجال الدِّين مِمَّن ليس لديهم مناصب في الجامعات كانوا يتدخَّلون في شؤونها، خاصة في التضييق عليها في تدريس فلسفة أرسطو وابن رشد، كما كان لدى رجال الدِّين تحفُّظ حول تدريس القانون المدَني والقانون الروماني مُطالبين باستبدال تدريس القانون الكنسي به. وأيضًا كان من أهداف كثير من الجامعات الأوروبية في القرون الوسطى تأهيل رجالات الكنيسة واللاهوت في الجامعات القديمة، بل إن العديد مِمَّن تولَّوْا منصب البابوية قد درسوا في الجامعات. وأشارت المصادر التاريخية إلى أن الأساتذة الرهبان دائمًا ما كانوا يُمارسون سُلطاتهم على الأساتذة في التخصُّصات المدَنية غير الدينية، وكانوا يقومون بعمليات تنصُّت وتجسُّس في التخصُّصات التي فيها تعارُض مع التعليم الكنَسي مثل الفلسفة والقانون غير الديني، وكان تلك الممارسات سائدة في كثير من الجامعات الأوروبية في تلك الحقبة، وهو ما كان يُزعج الأساتذة والطلبة، ويجعلهم في مواقف مُصادمة للكنيسة ورجالاتها Symoens, 1992; Mundy,2014).)

وبرغم تأثير الكنيسة القوي على الجامعات في القرون الوسطى إلا أن الكنيسة كانت تعيش في مراحل غير مستقرَّة في مرحلة نشأة الجامعات، حيث لا زالت آثار الانشقاق العظيم بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية حديثة العهد، وهذا الحدَث قد وقع في النصف الثاني من القرن الحادي عشر أيضًا، وكانت هناك توجُّهات مختلفة لقيادات رجالات الدِّين حول بعض القضايا، فهم ليسوا على رأيٍ واحد في كلِّ القضايا التي عاصرتهم (Jordan، 2004).

ويذكر عاشور (2007) أن في عام 1229 وقع خلافٌ بين ملك فرنسا وحاشيته وبين جامعة باريس، فقرَّر الأساتذة الإضراب عن العمل إلا أن الأساتذة مِمَّن ينتمون للكنسية لم يُوافقوا على الإضراب، بل افتتحوا مدرسة لهم؛ مِمَّا أثار غضب سائر الأساتذة في جامعة باريس، واعتبروا ما قام به الأساتذة مِمَّن ينتمون للكنيسة خيانة لهم، لذلك قرَّرت جامعة باريس عدم تعيين الأساتذة مِمَّن يعملون في الكنيسة إلا بعد أداء القسَم على احترام لوائح رابطة الأساتذة وعدم إفشاء أسرارها وتنفيذ قراراتها بما فيها الإضراب عن العمل؛ مِمَّا أدَّى إلى الاستياء من بعض الأساتذة الرُّهبان، وتَمَّ فصلهم من العمل، ولكن البابا إنوسنت الرابع وقف بجانب الجامعة وضد الأساتذة الرُّهبان. وسُرعان ما تُوفِّي البابا المذكور، ويأتي البابا الجديد الكسندر الرابع لتولِّي أمور البابوية، ووقف البابا الجديد مع الأساتذة الرُّهبان، وأمر بإعادتهم للعمل أو الحكم على الجامعة ومنسوبيها بالحرمان، ولم تُوافق الجامعة على إعادة الأساتذة الرُّهبان بل أخذت موقفًا مُعاديًا للبابوية في تلك المرحلة.

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

وقد كانت الخلافات السياسية والصراعات بين البابوية والحكام العلمانيين أيضًا في أوروبا على أوجها في العصور الوسطى، حيث كانت العلاقات مستقرَّة في بعض الأوقات، وفي أوقات أخرى كانت عدائية تصل للحرب والقتال. وقد أدَّت الصراعات بين البابوية وبعض الملوك والإمبراطوريات مثل الصراع الذي كان بين البابوية وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة فريدريك الثاني حول السيطرة على إيطاليا، وقد ساهم هذا الخلاف في تأسيس جامعة نابولي فريدريكو الثاني عام 1224؛ لحاجة الإمبراطورية لكوادر مُؤهَّلين ومُتعلِّمين يخدمون في الإمبراطورية والحكومة بعيدًا عن سطوة بابا روما.وقد تَمَّ أيضًا تأسيس جامعة أوَّل جامعة في ألمانيا، وهي جامعة هايدلبرغ، وذلك بعد الصدع الذي تسبَّب به تأييد الألمان للبابا في روما على حساب البابا الكاثوليكي المنتخب في فرنسا بعد في زمن الانشقاقات الكنسية، وكان من أسباب انتشار الجامعات في القرون الوسطى: البحث عن حرية أكاديمية وحصانة قانونية أيضًا، فقد تسبَّب بحث مجموعة من الأساتذة والطلبة من جامعة بولونيا في الحصول على مزيد من الحريات في تأسيس جامعة بادوفا في الشمال الإيطالي، وقد كان منسوبو الجامعات يُمنحون الحماية والحصانات ضد التعرُّض للمُضايقات أو حتى التعرُّض للتوقيف من قِبَل السُّلطات المحلية أو ما يُسمَّى السُّلطات الدنيوية أو العلمانية(Cantoni & Yuchtman, 2014; Symoens, 1992، 2014; Mundy).

سابعاً: إسهامات التراث العربي والإسلامي في الجامعات الأوربية في القرون الوسطى:

يكثر الجدل بين المؤرِّخين حول تاريخ نشأة الجامعات، حيث يرى الكثير أن الجامعات أُسِّست في الوطن العربي والإسلامي، وأن جامعة القرويين بفاس والمؤسَّسة عام 859 للميلاد هي أقدم الجامعات على الإطلاق، بينما يرى مُؤرِّخون غربيون أن الجامعات الحالية هي نتاج الكنيسة والنصرانية، وحتى إن التنظيم الإداري والامتيازات من السُّلطات الدينية والمدنية ومُسمَّيات الدرجات العلمية مثل البكالوريوس والأزياء والثقافة كلها مُستمدَّة من التراث الكنسي.

لكن في الوقت نفسه لا يُوجد جدال بأن الجامعات الأوروبية في مراحلها الأولى استفادت كثيرًا من التراث العربي والإسلامي، واستفادت من المدارس القائمة في الأندلس وصقلية، وقت أن كان لترجمة المؤلَّفات والكُتُب من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التي كانت هي اللغة الرسمية في الجامعات الأوربية في قرونها الأُولى الأثر الكبير في تقدُّم الحركة العلمية في أوروبا(Lorch، 2001).

ومن أبرز مَن نقَل التراث العربي لأوروبا الفرنسي جربير، والذي أصبح لاحقًا بابا للفاتيكان في المقاطعة المعروفة في مدينة روما، وهو أوَّل بابا فرنسي، وقد تعلَّم البابا الذي يُطلق عليه سلفستر الثاني في جامعة القرويين وفي مدارس الأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، ونقل الكثير من العلوم من اللغة العربية إلى أوروبا مثل الحساب والرياضيات والفلك، وهو البابا الوحيد الذي تعلَّم اللغة العربية، ومن المقولات التي انتشرت عن هذا البابا: أنه لا يُمكن لأوروبا أن تتقدَّم إلا بمعرفة علوم العرب (Zuccato,2005 ;Youssef، 2020).

وقد ترجم أيضًا الطبيب قسطنطين الإفريقي المتوفَّى سنة 1087 والذي ارتدَّ من الإسلام وتحوَّل إلى النصرانية العديد من المؤلَّفات الطبية المكتوبة بالعربية إلى اللاتينية، منها: كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس، وزاد المسافر للطبيب أحمد ابن الجزار، كما ترجم مؤلَّفات لأبي بكر الرازي، وترجم كذلك لأبي إسحاق الإسرائيلي، وقد استفادت جامعة ساليرنو التي اشتُهرت بالطب في القرون الوسطى من مؤلَّفات قسطنطين الإفريقي بشكل كبير، وذاعت سُمعة الجامعة بشكل كبير(Zhiri، 2006).

ومن العلماء والمترجمين البارزين في القرون الوسطى دومينيكوس جونديسالينوس، والذي عاش في القرن الثاني عشر وترجم الكثير من الأدبيات المكتوبة باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، ومن ثَمَّ أصبحت مراجع علمية للأساتذة والطلبة، ومنها تفسيرات فلسفة أرسطو وكتب أبي حامد الغزالي، كما ترجم لبعض أعمال سليمان بن جبيرول وكتاب لابن سينا في الطب.وقد قام أيضًا جيرارد كريمونا المتوفَّى عام 1187 بترجمة عدد من الكُتُب العربية ونقلها إلى اللاتينية، ومن أهم ما قام به جيرارد ترجمته لكتاب القانون في الطب لابن سينا، والذي كان مرجعًا لكيات الطب في العصور الوسطى وحتى في عصر النهضة، كما قام جيرارد بترجمة بعض أعمال أبي بكر الرازي في الطب، وقام المترجم الإيطالي أيضًا بترجمة الكثير من الأعمال العربية إلى اللاتينية، كما يُعتقد أن جيرارد كريمونا هو الذي قام بترجمة المجلد الضخم للطبيب والجرَّاح الزهراوي المعنون بـ (كتاب التصريف

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

لِمَن عجز عن التأليف) إلى اللاتينية، وكان مرجعًا لكليات الطب لمدَّة تزيد عن خمسة عقود(Lorch، 2001). كما قامت مدرسة في طليطلة في إسبانيا في القرن الثاني عشر والثالث عشر بغرض ترجمة الأدبيات والكتُب العربية إلى اللغة اللاتينية، وهي مدرسة طليطلة للمُترجمين، وقد قامت بترجمة الكثير من الكتُب والموسوعات العربية إلى اللغة اللاتينية، ومن الفلاسفة والعلماء الذين تُرجمت بعض أعمالهم في المدرسة موسى بن ميمون وابن خلدون والخوارزمي وابن رشد. وقد حرص مُترجمو المدرسة على ترجمة آثار أرسطو الموجودة في الكتُب العربية وكتب ابن حيان والفارابي، كما ترجمت كتب الكندي في البصريات وكتاب جابر بن أفلح في الفلَك والفرغاني في الفلك والحركات السماوية بالإضافة إلى ترجمة كتُب العلماء اليونان المكتوبة باللغة العربية مثل كتب إقليدس حول عناصر الهندسة وكتاب أرخميدس حول قياس الدائرة بالإضافة لترجمة أعمال بطليموس المجسطي. وشملت الكتب والمجلدات المترجمة في شتَّى المجالات في الفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والهندسة وغيرها من المعارف والعلوم مراجع علمية للجامعات الأوربية في القرون الوسطى(Serrano، 2015).

ثامناً: نماذج من الجامعات الأوربية في العصور الوسطى

جامعة بولونيا:

تتمتَّع جامعة بولونيا بتاريخ فريد، تعود جذوره إلى العصور الوسطى، وبالرغم من صعوبة تحديد عام محدَّد لبدء الجامعة لغياب التوثيق الجيد وكذلك البدايات المتواضعة للجامعة، لكن يُرجِّح بعض المؤرِّخين أن الجامعة تأسَّست عام 1088، وهي أقدم جامعة تعمل بشكل مستمر. وقد تحصَّلت الجامعة على اعتراف من قِبَل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة فريدرش الأوَّل في عام 1158خلال العصور الوسطى، وقد اشتُهرت الجامعة بتدريسها للقانون المدني، ولكنَّها كانت تُدرِّس القانون الكنسي والمنطق واللاهوت وكذلك الطب، وقد انجذب العلماء والطلاب من جميع أنحاء أوروبا إلى الجامعة بسبب سُمعتها الجيدة(Grendler، 1999).

تأسَّست جامعة بولونيا على يد مجموعة من الطلاب، وهم الذين قاموا بإدارتها وتعيين الأساتذة فيها، لذلك اشتُهرت الجامعة على أنَّها جامعة طلبة، فالطلاب هم المسيطرون ولهم اليد العُليا في الجامعة، والأساتذة لم يكن لهم دورٌ بارز بل كانوا يتماشَوْن مع تعليمات الطلاب الذين كانوا يُديرون الجامعة، حيث كان مدير الجامعة هو رئيس اتحاد الطلاب. وقد كان من شروط اختيار مدير جامعة بولونيا في العصور الوسطى: أن يكون طالبًا فيها، وأن يكون أعزب، كون معظم الطلاب في الجامعات في العصور الوسطى يُتوقَّع أن يكونوا في مناصب عُليا من الكنائس، وهي وظائف دينية تشترط عدم الزواج، ومن الشروط أيضًا: أن لا يقل عُمر مدير الجامعة عن 24 سنة، بالإضافة إلى أن مدير الجامعة يجب أن يَدرس القانون لمدة خمس سنوات على الأقل، وقد كان يتمُّ اختيار مدير الجامعة وهو رئيس اتحاد طلبتها بشكل غير مباشر، ولم يكن مدير الجامعة يتقاضى أجورًا أو راتبًا ثابتًا، سواء كان نصف مبالغ الغرامات التي تفرضها الجامعة على الطلبة المخالفين للأنظمة والتعليمات أو غير ذلك (عاشور، 2007). ولقد بدأت الجامعة كجمعية غير رسمية قبل أن تُصبح مُؤسَّسية رسميًّا مُعترف بها، وقد شهدت الجامعة تواجُدًا للطلاب الدوليين من بداية التأسيس، وكان أيضًا هناك أشكال من التنابُز والعُنصرية بين الطلاب، وقد شكَّل الطلاب العديد من الاتحادات الطلابية في جامعة بولونيا، حيث كان التشكيل للاتحادات الطلابية بناءً على العِرقية، فطلاب اللمبارديين كانت لهم رابطة خاصة بهم، وكذلك الطلاب من روما، وهناك رابطة خاصة بالطلاب من توسكانا.

كانت الجامعة رائدة في نظام الدرجات العلمية التي أصبحت فيما بعد نموذجًا للجامعات الأوروبية الأخرى، وقد قام بالتدريس فيها عددٌ من العلماء البارزين الذين ارتبطوا بجامعة بولونيا في العصور الوسطى، منهم إيرنيريوس المعروف باسم "الأب المؤسِّس" للدراسات القانونية، وكان عالِمًا في القانون الروماني، ومن الأشياء التي تفتخر بها جامعة بولونيا أنها كانت من الجامعات الممكِّنة للمرأة، حيث تخرَّجت في الجامعة أوَّل طالبة، وكذلك تَمَّ تعيينها في منصب تدريسي بعد ذلك في نفس الجامعة، وتُدعى هذه المرأة بيتيسيا جوزادیني. وقد تخرَّجت بيتيسيا جوزادیني في جامعة بولونيا عام 1237، وأيضًا كانت بيتيسيا جوزادیني أوَّل امرأة تشغل منصب التدريس في

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

تاريخ التعليم (Peril، 2006).

من النماذج التي قامت بالتدريس في جامعة بولونيا هو الحسن بن محمد الوزَّان الزياتي الفاسي والمشهور بـ(ليون الأفريقي) أو (يوحنا الأسد الأفريقي). وقد وُلد الحسن في غرناطة عام 1494 قبيل سقوطها على يد الإسبان قبل أن يتنقل مع أسرته إلى المغرب العربي، ويُثبت براعته العلمية وذكاءه، حيث درس في جامعة القرويين التي تُعتبر أقدم جامعة في العالم، وتقلَّد الحسن مناصب سياسية مهمَّة في فاس، وكان يتميَّز بالعلم خاصة في العلوم الجغرافية، وقد قام برحلات عديدة. ولكن حدث عند عودته إلى دياره من إحدى الرحلات أن تعرَّضت سفينته إلى هجوم من قراصنة مُرتزقة يعملون لصالح القديس يوحنا في عام 1518. ومن ثَمَّ تَمَّ تقديم الحسن كهدية وعبد إلى البابا الكاثوليكي في روما (ليو العاشر)، وتَمَّ تغيير اسمه ليُصبح معروفًا باسم ليون الأفريقي. وسُرعان ما عرف البابا قيمة ليون الأفريقي وما يمتلكه من علم، وتَمَّ تكليفه بمهام عديدة لمساعدة الجيش والاستطلاع لمعرفة ليون بالجغرافيا. وقد تحوَّل ليون الأفريقي إلى النصرانية وتَمَّ تعميده، ولكن لا يُعلم إذا كان أُجبر على ذلك كونه أسيرًا مُستضعَفًا أو لا، حيث يُعتقد أنه تُوفِّي وهو مسلم في تونس. ويُعدُّ ليون الأفريقي من الأعلام المهمَّة في جامعة بولونيا، حيث تَمَّ تعيينه لتدريس اللغة العربية، ويُعدُّ كتاب وصف أفريقيا من أبرز مُؤلَّفات ليون الأفريقي، حيث أتَمَّ الكتاب في روما سنة 1526 (Zhiri، 2006).

جامعة باريس:

لعبت جامعة باريس دورًا مهمًّا في الحياة العلمية خلال العصور الوسطى في قارة أوروبا، فقد تأسَّست في منتصف القرن الثاني عشر، وأصبحت مركزًا بارزًا للمساعي الفكرية والأكاديمية، حيث جذبت العلماء والطلاب من جميع أنحاء أوروبا، وقد تطوَّرت الجامعة في الأصل من مدارس كاتدرائية نوتردام، ويعتقد بعض المؤرِّخين أن أُصول جامعة باريس ترجع إلى القرن الثامن أو التاسع الميلادي. وفي عام 1200 تَمَّ الاعتراف بالجامعة بمرسوم الملك الفرنسي فيلب الثاني، وفي عام 1215 تَمَّ الاعتراف بالجامعة من قِبَل البابا إنوسنت الثالث.

وفي عام 1229 وقعت حادثة مُؤثِّرة في تاريخ جامعة باريس أدَّت إلى إضراب الأساتذة وتوقُّف الدراسة في الجامعة لمدة عامين؛ بسبب احتجاج الأساتذة والطلبة على التجاوُزات التي قامت بها السُّلطات المدنية تجاه الأساتذة والطلبة، رغم حصولهم على حصانات بعدم التعرُّض للمحاكمات في المحاكم العلمانية المدنية، ويرجع السبب في الاحتجاج إلى أنه في إحدى الاحتفالات الدينية اندلع نِزاع بين مجموعة من الطلاب المخمورين، والذين كان غالبهم في سِنِّ المراهقة وصاحب حانة حول فاتورة، مِمَّا أدَّى إلى شجار جسدي، وتعرَّض الطلاب للضرب، وألقوا بهم في الشوارع. في اليوم التالي عاد الطلاب المتضرِّرون بأعداد أكبر مُسَلَّحين بهراوات خشبية، وقد اقتحموا الحانة التي كانت مُغلقة بسبب عطلة دينية، وقاموا بتدمير الحانة، ولحقت أضرار بمتاجر أخرى في أعمال شغب لاحقة امتدَّت إلى الشوارع، ولأنَّ الطلاب استفادوا من حصاناتهم كرجال دِين تابعين للكنيسة حيث إنَّهم يُعاملون فوق القانون المدني. وقد تَمَّ تقديم شكاوى غاضبة إلى المحاكم الكنسية، وقد مالت المحاكم الكنسية وهي المخولة بالنظر في قضايا الطلاب والأساتذة الجامعيين في القرون الوسطى كونهم رجال دِين، وقد مالت المحكمة الكنسية والجامعة إلى جانب الطلاب خوفًا من تكرار سيناريو انفصال جامعة كامبريدج عن أكسفورد، لكن الملك الفرنسي أمر بتنفيذ العقوبات ضد الطلاب، وهو تجاوُز صريح لسُلطة الكنيسة والتي كانت الجامعة من ضمن الجهات التابعة للكنيسة. لذلك قامت احتجاجات وإضرابات عديدة، وتوقَّفت الدراسة في الجامعة احتجاجًا على قرار السُّلطة المدنية(عاشور، 2007).

ركَّزت الجامعة في البداية على اللاهوت؛ نظرًا لكون باريس مركزًا للفكر الديني، وهو التخصُّص الذي اشتُهرت به الجامعة، وقد ساهم علماء بارزون مثل بيتر أبيلارد وتوما الأكويني في سُمعة الجامعة كمؤسَّسة رائدة للدراسات اللاهوتية، كما توسَّعت مناهج الجامعة لتشمل الفلسفة والقانون والطب، وقد كانت دراسة الفلسفة مجالًا مهمًّا أيضًا، وقد تأثَّرت الجامعة بالمفكرين اليونانيين والإسلاميين القدماء، وأنتجت كلية الحقوق بالجامعة علماء قانون لعبوا أدوارًا مهمَّة في تشكيل الأنظمة القانونية في جميع أنحاء أوروبا، في حين كان الطب -مع التركيز على مبادئ جالينوس- مجالًا مهمًّا آخر للتميُّز. وقد تشكَّلت الكليات في جامعة باريس بعد تأسيس الجامعة كما كانت العادة في الجامعات القديمة بعكس الوضع الحالي، حيث تُنشأ الكليات ثم تتحوَّل إلى جامعات، وكان لكلِّ كلية عميد خاص بها، كما اشتُهرت جامعة باريس بأسلوبها الدراسي الصارم في التعلم من خلال الجدَل

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

والمناظرة، فضلًا عن اعتمادها على دراسة النصوص القديمة، بما في ذلك نصوص أرسطو وأفلاطون وجالينوس. وعلى الرغم من الصراعات مع السُّلطات الدينية والنزاعات الداخلية، استمرَّت الجامعة في الازدهار وتوسيع نفوذها طوال العصور الوسطى، وقد شكَّل الطلاب في جامعة باريس جمعيات شبيهة بالنقابات تُعرف باسم الأمم، بناءً على أُصولهم الجغرافية. وتُشتهر جامعة باريس بأنها جامعة أساتذة، فقد كان يُديرها الأساتذة وليس الطلاب كما في جامعة بولونيا. كما تميَّز الأساتذة بحقوق أكبر من نُظرائهم في جامعة بولونيا. وكان هناك دعم يأتي للجامعة من قِبَل السُّلطات المدنية بالإضافة للرسوم الدراسية المفروضة على الطلاب (Rashdall، 1885).

جامعة أكسفورد:

تتمتَّع جامعة أكسفورد بتاريخ طويل، ترجع جذوره إلى القرون الوسطى، وبالرغم من صعوبة تحديد دقيق لانطلاقة الجامعة لكن يُشير موقع جامعة أكسفورد إلى أنه يُوجد وثائق على أنه يُوجد لقاءات وتدريس بها منذ عام 1096 على الأقل، إن لم تكن أقدم من ذلك (Oxford، 2023). وتُعتبر جامعة أكسفورد أوَّل جامعة تُؤسَّس على الأراضي الناطقة بالإنجليزية في العالَم، بالإضافة إلى أنها ثاني أقدم جامعة مستمرة بالعالَم بعد جامعة بولونيا، كون جامعة باريس القديمة قد أغلقت أبوابها وأصبحت من الماضي. وفي عام 1167 قام ملك فرنسا بمنع الطلاب الإنجليز من الدراسة في جامعة باريس لأسباب سياسية ودينية، كموقف رافض لتصرُّفات الملك الإنجليزية ضد السُّلطات الدينية في نزاع يُسمَّى بجدَل بيكيت، وهو متعلِّق بصراع بين الكنيسة والتاج على النفوذ والقوة. وقد ساهم هذا القرار في تشجيع الطلاب والأساتذة الإنجليز العائدين من جامعة باريس في تطوير جامعة أكسفورد، وتَمَّ تطبيق اللوائح والتنظيمات الموجودة في جامعة باريس في جامعة أكسفورد، فجامعة أكسفورد جامعة يُديرها الأساتذة وليس الطلاب كما في جامعات إيطاليا في تلك المرحلة.

وفي عام 1190 تواجد أوَّل طالب دولي في جامعة أكسفورد، وفي عام 2014 تَمَّ تغيير مسمَّى مدير جامعة أكسفورد ليكون المستشار، وقد تَمَّ الاعتراف بالجامعة من قِبَل السُّلطات المدنية عام 1231، وفي عام 1248 مُنِحت الجامعة ميثاقًا ملكيًّا من الملك هنري الثالث. وفي عام 1249 تَمَّ تأسيس أوَّل كلية في جامعة أكسفورد، وكان من أسباب إنشاء الكليات أنها تكون مهجعًا للطلاب بعيدًا عن السكن في المباني الواقعة في الأحياء السكنية العامة، حيث كانت هناك الكثير من المشاكل ومظاهر العنف بين المجتمع المحلي وطلبة الجامعة، وكان كثير من طلبة الجامعية يُسيء التصرُّف، ويستخدم الأسلحة ضد المجتمع المحلي خاصة مع الحصانات والامتيازات التي كان الطلاب الجامعيون يحصلون عليها في تلك المرحلة. وقد تَمَّ تطوير عدد من اللوائح التي تحدُّ من المشاغبات والمخالفات الطلابية في جامعة أكسفورد في نهاية القرن الثالث عشر بعد عدد كبير من الصراعات الدامية بين الطلاب والمجتمع المحلي، راح ضحيتها الكثير من الطلاب والسكان. وفي عام 1349 تُوفِّي رُبع طلاب جامعة أكسفورد نتيجة انتشار الطاعون في المدينة، وقد كان الطاعون أو الموت الأسود مُستشريًا في القارة الأوربية، وقد تسبَّب في هلاك ما لا يقلُّ عن ثُلُث سكان أوروبا، وفي عام 1355 -وتحديدًا في يوم العاشر من فبراير- في يوم القديس سكولاستيكا وقع حدثٌ تاريخيٌّ مُهمٌّ في تاريخ جامعة أكسفورد، وهو اندلاع مُواجهات دامية بين السكان والطلاب، نتج عنها مقتل 67 طالبًا وأستاذًا من جامعة أكسفورد، بالإضافة إلى عدد من القتلى من جانب السكان. ويرجع السبب في ذلك إلى خلاف في أحد حوانيت الخمور بين طالبين من الجامعة وصاحب الحانوت؛ بسبب عدم إعجابهم بأحد المشروبات الكحولية، ثم تطوَّر الأمر إلى التشابُك، وقام كلُّ السكان بمساندة صاحب الحانوت، بينما هرع الطلاب لمساعدة زملائهم، مِمَّا ساهم في انفجار الوضع وخروجه عن السيطرة، ومن ثَمَّ تَمَّ اقتحام المباني الجامعية وتدميرها والاعتداء على الطلاب والأساتذة؛ مِمَّا نتج عنه مقتل الكثير من الطلبة والأساتذة.

وخلال القرن الرابع عشر تحصَّلت الجامعة على كثير من الامتيازات والمراسيم من السُّلطات البريطانية ومن البابوية، وقد كان الهدف الأساسي من تأسيس الجامعة: إعداد رجال الدِّين للكنائس كما هو الغرض من تأسيس معظم الجامعات في القرون المظلمة. وقد ركَّزت الخُطط الدراسية لجامعة أكسفورد في العصور الوسطى بشكل أساسي على دراسة اللاهوت والقانون والطب، وقد كانت اللاتينية هي لغة التدريس الأساسية، وكان الطلاب يتقدَّمون من خلال سلسلة من الدرجات العلمية، مثل درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراة. وقد ارتبط

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

العديد من العلماء البارزين بجامعة أكسفورد خلال العصور الوسطى، بما في ذلك توماس الأكويني، عالِم لاهوت وفيلسوف، درس في أكسفورد، وجون ويكليف، عالِم لاهوت ومُصلح إنجليزي، قام بالتدريس أيضًا في الجامعة، وقد لعبت جامعة أكسفورد دورًا مهمًّا في الحياة الفكرية والثقافية لأوروبا خلال العصور الوسطى(Symoens, 1992;Mundy,2014; Oxford، 2023).

جامعة كامبريدج:

تُشير المصادر إلى قيام حركات تعليمية فيما يُدعى اليوم جامعة كامبريدج إلى القرن الخامس والسادس الميلادي، ولكن من المؤكَّد أن تطوُّر جامعة كامبريدج وانطلاقتها الحقيقية كان عام 1209، وذلك بعد الانشقاق الحاصل من قِبَل أساتذة وطلاب من جامعة أكسفورد. ويرجع لذلك السبب حدوث الانقسام بين الجامعتين الأكثر عراقة في بريطانيا. ففي عام 1209 كان هناك طالب يدرس الفنون السبعة الحرة في جامعة أكسفورد، وقتل عن طريق الخطأ امرأة من المدينة، وعندما وجد الطالب أن المرأة فارقت الحياة آثر سلامة نفسه ولاذ بالفرار، وقد وجد عمدة المدينة وبعض الأهالي المرأة ميتة، وبدؤوا بالبحث عن القاتل في مسكنه الذي استأجره مع ثلاثة آخرين من زملائه، لكنَّهم لم يجدوا القاتل، وألقوا القبض على زملائه الثلاثة، الذين لم يكونوا على دراية بعملية قتل المرأة، وزجُّوا بهم في السجن. وبعد بضعة أيام قاموا بأمر من الملك -وفي انتهاك لحقوق الكنيسة- بأخذ الطلاب خارج المدينة وشنقهم، وقد كان لدى طلاب الجامعات الأوربية حصانات ضد تقديمهم للمحاكمات في الكنائس المدنية أو ما تُسمَّى بالعلمانية في تلك الحقبة، وكان من المفترض تقديمهم للمحاكمات في محكمة كنسية، وبعد عملية الإعدام هذه قام عدد كبير من الأساتذة والطلاب يُقدَّر عددهم بثلاثة آلاف بمغادرة المدينة، وبعضهم توجَّه إلى كامبريدج وقام بتأسيس الجامعة المعروفة، وقد استفادت من التنظيم الإداري والعلمي الموجود في جامعة أكسفورد والمستنسَخ من جامعة باريس، فجامعة كامبريدج في القرون الوسطى تُعدُّ من ضمن الجامعات التي يُديرها الأساتذة (أبو المجد، 2020).

وفي عام 1229 وقعت أحداث جامعة باريس التي قرَّر أعضاؤها الإضراب عن العمل والتوقُّف عن التدريس نتيجة لتجاوُز السُّلطات المدنية وتعدِّيها على الجامعة، والتي تُعتبر تابعة للكنسية بعد أحداث العنف التي مارسها مجموعة من الطلاب ضد ممتلكات المجتمع المحلي، وقد استغلَّ الملك الإنجليزي هنري الثالث الموقف، وذلك بسبب المشاكل السياسية بينه وبين الملك الفرنسي لويس التاسع، وقام بدعوة الطلاب والأساتذة للعمل والدراسة في جامعة كامبريدج . ويُعدُّ هذا الحدث أوَّل اعتراف وتأييد من الملك الإنجليزي للجامعة، يُذكر أن جامعتي أكسفورد وكامبريدج كانتا دائمًا يتمُّ دعمهما من الملكية الإنجليزية، وفي عام 1261 حدثت مُشاجرات وأحداث عُنف خطيرة بين طلاب جامعة كامبريدج وانضمَّ إليها سكان المدينة؛ ونُهِبت المنازل وأُحرِقت سِجِلَّات الجامعة، ووقعت حالات قتل بين الطلاب والأساتذة والسكان المحليين، وقد تَمَّ إعدام ستة عشر من سكان البلدة، وقد هاجر عددٌ من الأساتذة والطلاب نتيجة للأحداث المؤسِفة. وفي عام 1318 حصلت الجامعة على اعتراف من البابوية، وقد ركَّز المنهج الدراسي المبكر للجامعة على اللاهوت والفلسفة والفنون الليبرالية، متبعًا في ذلك نموذج الجامعات الأوروبية الأخرى. وفي العصور الوسطى لعبت الجامعة دورًا مهمًّا في تطوير فكر العصور الوسطى والتقاليد الأكاديمية (أبو المجد، 2020).

جامعة شلمنقة:

تتمتَّع جامعة سالامانكا أو شلمنقة بتاريخ عريق يعود إلى العصور الوسطى، وقد تأسَّست الجامعة عام 1218 على يد ملك ليون ألفونسو التاسع، وهي أقدم جامعة في إسبانيا بعد جامعة بلنسية، وهي واحدة من أقدم الجامعات في العالَم. وقد تطوَّرت جامعة سالامانكا من مدرسة كاتدرائية إلى جامعة تميَّزت سنواتها الأولى بتأثير النظام الجامعي في العصور الوسطى، وطبَّقت نموذج جامعة بولونيا؛ أي أن جامعة سالامانكا كانت جامعة يُديرها الطلاب بعكس جامعة باريس التي كان يُديرها الأساتذة. وفي عام 1255 حصلت الجامعة على الميثاق الملكي والمباركة البابوية بالاعتراف العالَمي بالدرجات العلمية الممنوحة من الجامعة. وقد لعبت الجامعة دورًا حيويًّا في التطوُّر الفكري والثقافي في إسبانيا وأوروبا، حيث جذبت العلماء والطلاب من جميع أنحاء القارة، ولا يُمكن المبالغة في تقدير مساهماتها في تخصُّصات مثل اللاهوت والقانون والفلسفة والدراسات الإنسانية.وتُشير المصادر التاريخية إلى أن جامعة شلمنقة كان فيها بعض الطالبات الإناث في القرن الخامس عشر، فقد جلبت

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

الملكة إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة معلمة لتعليمها اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلوم في أوروبا في تلك الحقبة، وقد كانت المعلمة مِمَّن سبق لهن الدراسة في هذه الجامعة (Duve & Others، 2021).

جامعة بادوفا:

تَمَّ تأسيس جامعة بادو أو بادوفا عام 1222، وهي تُعتبر من أقدم الجامعات من حيث التأسيس في العالَم. وتقع هذه الجامعة في شمال إيطاليا حاليًّا، حيث كانت إيطاليا في ذلك الوقت مقسَّمة، وتُعدُّ جامعة بادوفا مُنشقَّة عن جامعة بولونيا، فقد تَمَّ تأسيسها على يد مجموعة من الأساتذة والطلبة القادمين من جامعة بولونيا، وكان سبب انتقال الطلبة والأساتذة من جامعة بولونيا وتأسيس الجامعة الجديدة هو الرغبة في الحصول على قَدْر أكبر من الحرية الأكاديمية. وقد تَمَّ محاكاة نموذج بولونيا في إدارة جامعة بادوفا، حيث إن الطلبة هم الذين كانوا يُديرون الجامعة وكانوا المسؤولين عنها، فيما كان دور الأساتذة التدريس وأخذ الأجور من الطلبة. وقد كانت الأجور التي تُعطى للأساتذة في العقود الأولى من تكوين الجامعات ليست ثابتة، حيث كان الاعتقاد أن العلم الذي لدى الأساتذة هو منحة من الرَّبِّ، لذلك لا يُمكن أخذ أجور عليه، لكن في نفس الوقت كان الأساتذة يتقبَّلون الهدايا التي كانت تأتيهم من الطلاب سواء كانت من الأغذية أو الأموال، حيث إن الهدايا كانت اختيارية، ولكن كان من المتوقَّع من الطلاب إعطاء نوع من التعويضات للأساتذة. وقد حصلت جامعة بادوفا على اعتراف بامتيازاتها واستقلاليتها من البابا الكاثوليكي كلمنت السادس سنة 1346.

وفي عام 1399 انقسمت جامعة بادوفا إلى جامعتين: الجامعة الأولى: تعنى بتدريس القانون المدني والقانون الكنسي، والجامعة الأخرى: تقوم بتدريس علم الفلَك والجدَل والفلسفة والبلاغة بالإضافة إلى الطب. وقد اشتُهرت جامعة بادوفا بتدريس الطب وانطلقت محاضرات الطب فيها منذ عام 1250. وفي سنة 1399 حصلت جامعة بادوفا من حكام المدينة على مبنى خاص بها ليكون مقرًّا دائمًا للجامعة، وأيضًا فرضت المدينة بعض الضرائب على السكان لدفعها للأساتذة في الجامعة، وعندما خضعت مدينة بادوفا لسيطرة جمهورية البندقية في عام 1404 سارعت حكومة البندقية إلى دعم الجامعة، وأصبحت الجامعة وجهة لسكان البندقية الراغبين في تولِّي مناصب عُليا. أيضًا في ظل التسامُح الديني النسبي لجمهورية البندقية مع أتباع المذهب البروتستانتي أصبحت الجامعة أيضًا بيئة جاذبة للأقليات مقارنة بالجامعات التابعة للبابوية. كما تمتلك هذه الجامعة تاريخًا علميًّا حافلًا بالإنجازات في عصر النهضة، حيث كانت قد ضمَّت الكثير من الأساتذة المتميِّزين، من أبرزهم العالِم غاليليو غاليلي المتوفَّى سنة 1642. وتبنَّى غاليليو نظرية مركزية الشمس التي صاغها العالم كوبرنيكوس في كتاب عن دوران الأجرام السماوية عام 1543، وقد قُوبِلت اكتشافات غاليليو بالمعارضة من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية، وفي عام 1616 أعلنت محكمة التفتيش أنَّ نظرية مركزية الشمس تُعدُّ «هرطقة» بصورة رسميَّة، وحظرت الكتُب التي تتحدَّث عن مركزية الشمس، وطلبت الكنيسة من غاليليو التوقُّف عن الإيمان بهذه الأفكار أو تعليمها أو الدفاع عنها(Padua, 2023; Zampieri & Others، 2013).

جامعة نابولي فيدريكو الثاني:

تأسَّست جامعة نابولي فيدريكو الثاني على يد إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة فريدريك الثاني في عام 1224. ويعتقد المؤرِّخون أن جامعة نابولي هي أقدم مؤسَّسة تعليم عالٍ مدعومة وممولَّة من الدولة في العالَم، وقد كان هدف الإمبراطور هو إنشاء مؤسَّسة للتعليم العالي من شأنها أن تضع حدًّا لهيمنة جامعات شمال إيطاليا، وأبرزها جامعات بولونيا وبادوفا، والتي كانت تُعتبر تحت التأثير القوي للبابا الكاثوليكي، وقد منح الميثاق الاستقلال للجامعة، وكان للإمبراطور السُّلطة العُليا في هذه الجامعة، حيث كان يتولَّى الكثير من المهام فيها، ومنها: تعيين الأساتذة، والإشراف على عمليات قبول الطلاب الجدُد، والتأكُّد من كفاءاتهم. كما قام بتعيين الأساتذة كموظَّفين عامين تابعين للدولة، ويتقاضون أُجورهم من قِبَل الإمبراطورية، وأيضًا كان الإمبراطور هو الذي يمنح الدرجات العلمية.

ويُعتقد أن هذه الجامعية هي أوَّل جامعة علمانية في العالَم، حيث كانت ذات توجُّه غير ديني، وكانت الجامعة تُدرِّب أيضًا كثيرًا من الموظفين الإداريين في الإمبراطورية، والذين لم يكن لهم مناصب دينية على عكس السائد في تلك المرحلة الزمنية، حيث كان الاهتمام مُنصبًّا على تخريج رجال الدِّين، وكانت جامعة نابولي صارمة

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023
العدد (27) سبتمبر 2023

ومركزية إلى حدٍّ ما، ولم يُسمح للطلاب والعاملين الأكاديميين بالسفر والدراسة في أيِّ مكان آخر خلال دراستهم، وبعد التخرُّج يتعهَّد الخرِّيجون بالبقاء مخلِصين للإمبراطور، وكان يتعيَّن على الخرِّيجين البقاء لمدَّة لا تقلُّ عن 16 شهرًا بعد التخرُّج للتدريس وإلقاء المحاضرات في الجامعة. و تأسَّست الجامعة في إطار الإصلاح الإداري الذي اتَّبعه الإمبراطور؛ بهدف تدريب البيروقراطيين ليُصبحوا مُوالين له، فضلًا عن أن يُصبحوا قادرين على مُراقبة النُّبلاء المحليين الذين لا يثق بهم. وقد خلق هذا دافعًا قويًّا لخلق أداة سياسية للإمبراطور؛ حتى يتمكَّن من متابعة سياساته ومُواجهة النفوذ البابوي، وكان أحد أشهر الطلاب: اللاهوتي والفيلسوف الكاثوليكي الروماني توما الأكويني. وقد مرَّت الجامعة بمراحل تاريخية ومنافسة شديدة مع الجامعات المجاورة، وقد توقَّفت الدراسة في الجامعة في أكثر من مرة بسبب عدم نجاحها وعدم قُدرتها على مُنافسة جاراتها من الجامعات، وقد تَمَّت إعادة الدراسة فيها، ولا زالت مستمرة حتى اليوم، وهي من الجامعات المرموقة على مستوى العالَم (The University of Naples Federico II، 2023).

جامعة تشارلز:

شهدت أوروبا نهضة في التطوُّر الفكري والثقافي في نهاية العصور الوسطى، وكانت جامعة تشارلز إحدى المؤسَّسات التي لعبت دورًا مهمًّا في هذه الفترة. وقد تأسَّست جامعة تشارلز عام 1348 على يد تشارلز الرابع، ملك بوهيميا والإمبراطور الروماني المقدَّس، وقد حصلت على مُباركة واعتراف من البابا الكاثوليكي كليمنت السادس. وتُعرَف هذه الجامعة تاريخيًّا بجامعة براغ، وسُرعان ما أصبحت الجامعة مركزًا للمعرفة والتنوير، حيث تجتذب العلماء والطلاب من جميع أنحاء أوروبا، وقد تَمَّ تأسيس الجامعة على غرار نموذج جامعة باريس، فقد تأسَّست جامعة تشارلز في مدينة براغ التي كانت آنذاك جزءًا من مملكة بوهيميا، إذ تصوَّر الملك تشارلز الرابع أن إنشاء جامعة من شأنها أن تُنافس المؤسَّسات المرموقة لمعاصريه، مثل جامعة باريس وجامعة بولونيا. وسُمِّيت الجامعة على اسم مُؤسِّسها، وكانت تتألَّف في البداية من أربع كليات: اللاهوت والقانون والطب والفنون الليبرالية. وكان المنهج الدراسي المطبَّق في الجامعة يُركِّز على الفنون الليبرالية، بما في ذلك القواعد والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والموسيقى وعلم الفلَك، كما شكَّلت هذه المواضيع الأساس لتعليم شامل، وكانت تهدف إلى تنمية التفكير النقدي والفضول الفكري. كما قدَّمت الجامعة دراسات متقدِّمة في اللاهوت والقانون والطب، وجذبت العلماء الذين سعَوْا إلى تعميق معرفتهم في هذه التخصُّصات. وسُرعان ما اكتسبت جامعة تشارلز سُمعة طيبة في التميُّز، حيث اجتذبت علماء وطلابًا مرموقين من جميع أنحاء أوروبا، وأصبحت الجامعة مركزًا للتبادُل الفكري والابتكار، مِمَّا عزَّز نمو التخصُّصات الأكاديمية المختلفة، وقدَّم العلماء المرتبطون بجامعة تشارلز مُساهمات كبيرة في مجالات مثل الفلسفة والرياضيات وعلم الفلَك واللاهوت، مِمَّا ترك أثرًا دائمًا على المشهد الفكري في العصور الوسطى. وبالإضافة إلى مَساعيها الأكاديمية، لعبت جامعة تشارلز دورًا رائدًا في المجتمع خلال العصور الوسطى، باعتبارها واحدة من أُولى الجامعات في أوروبا الوسطى، فكانت بمثابة مركز ثقافي وتعليمي، يرعى جيلًا من العلماء الذين سيُواصلون تشكيل مستقبل مجالات تخصُّصهم، كما قدَّمت الجامعة التعليم لرجال الدِّين والمحامين والأطباء الطموحين، مِمَّا ساهم في إضفاء الطابع المهني على هذه التخصُّصات(Symoens، 1992).

جامعة هايدلبرغ:

جامعة هايدلبرغ -والمعروفة أيضًا باسم جامعة روبرت كارل- هي أقدم جامعة في ألمانيا، تأسَّست عام 1386 بعد الحصول على الموافقة من البابا. وعلى مر القرون كان للجامعة تاريخٌ صاخب، حيث شهدت العديد من مراحل الصعود والهبوط من حيث سُمعتها العلمية وجاذبيتها الفكرية وجاذبيتها للأساتذة والطلاب، ففي القرن السادس عشر أصبحت هايدلبرغ مركزًا للإنسانية، وكان لدفاع مارتن لوثر العلَني عن أُطروحاته الخمس والتسعين في أبريل 1518 تأثيرٌ دائمٌ. وفي السنوات التالية، اكتسبت الجامعة سُمعة خاصة باعتبارها معقلًا للكالفينية، ويظلُّ تعليم هايدلبرغ المسيحي المكتوب عام 1563 بمثابة اعتراف أساسي للكنيسة الإصلاحية حتى يومنا هذا(Cantoni & Yuchtman،2014).

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

وبعد وفاة البابا غريغوري الحادي عشر في عام 1378 حدث انشقاق كبير في الكنيسة الكاثوليكية، حيث تَمَّ انتخاب بابا من قِبَل فرنسا وبابا آخر من إيطاليا، وقد أيَّدت الأعيان ورجال الدِّين الألمان بابا إيطاليا، ممَّا أغضب السُّلطات الفرنسية، وتَمَّ طرد الطلاب الألمان من جامعة باريس، وهذا ما اعتبره السياسي روبرت الأوَّل فرصة لتأسيس جامعة في ألمانيا. كان من ضمن المؤسِّسين وأوَّل رئيس للجامعة العالِم الهولندي الذي يُدعى مارسيليوس الإنغني، وقد كان الهولندي يحمل درجة الماجستير في الآداب، وكان يدرس في جامعة باريس، وقد تولَّى منصب رئيس جامعة باريس أيضًا في الفترة ما بين 1367 إلى 1371. ثم تحصَّل على درجة الدكتوراة في اللاهوت ليصبح أوَّل مدرس في جامعة هايدلبرغ يحصل على درجة الدكتوراة، وبعد فترة صعبة من السنوات تميَّزت بالثورات وسوء الإدارة المالية، أعاد كارل فريدريش- دوق بادن الأكبر الأوَّل- تنظيم الجامعة، وقد أضافت الجامعة اسمه على مُسمَّى الجامعة تقديرًا له.

وتَمَّت الاستفادة من نظام جامعة باريس حيث تَمَّ تطبيقه في جامعة هايدلبرغ، كما تَمَّ تأسيس كليات شبيهة بجامعة باريس، وتشمل: كليات الطب، والفلسفة، والقانون، واللاهوت. وقد كانت الدراسة في كلية اللاهوت من أكثر التخصُّصات تعقيدًا، ويتحلَّى حامل درجة اللاهوت بسِمة اجتماعية عالية واحترام أكاديمي كبير، وكانت درجة اللاهوت لا تُمنَح إلا لمرحلة الدكتوراة.

جامعة ساليرنو:
تتمتَّع جامعة ساليرنو بأهمية تاريخية كبيرة في العصور الوسطى، وتُعتبر من أقدم الجامعات في أوروبا، بل إن بعض المؤرِّخين أشار إلى أن جامعة ساليرنو الواقعة في جنوب إيطاليا هي أقدم جامعة في أوروبا. ويصعب تحديد تاريخ دقيق لبدء الجامعة، حيث كانت هناك مدرسة طبية قائمة منذ القرن التاسع على أقل تقدير في تلك المنطقة تُدعى المدرسة الطبية الساليرنية، ويُعتقد أنها هي التي ساهمت في تكوين الجامعة، وكان الجامعة تُوفِّر برامج دراسية في الإلهيات والقانون والجدل، ولكن الجامعة اشتُهرت بتفوُّقها في المجال الطبي في القرون الوسطى، وقد ذاع صيت ساليرنو كأفضل جامعة في الطب، فأصبحت قِبْلة للمُتعلِّمين الراغبين في الانتهال من خبرات الأساتذة والجرَّاحين في تلك الجامعة. وفي عام 1231 تحصَّلت الجامعة على اعتراف من قِبَل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة فريدريك الثاني، وقد تميَّزت الجامعة بوقوعها في مكان جغرافي يتمتَّع بتوفُّر الهواء الصحي والمياه المعدنية، لذلك هو مكان جيد للاستشفاء، وأيضًا من أسباب تميُّز الجامعة في الميدان الطبي توفُّر المراجع الطبية بها، خاصة تلك التي تُرجمت من اللاتينية إلى العربية، ومن أوائلها ما ترجمه قسطنطين الإفريقي، حيث أقام قسطنطين فيها لبعض الوقت وترجم بعض أعمال الطبيب علي بن عباس الأهوازي إلى اللاتينية، وكذلك ضمَّت الجامعة مراجع طبية ثرية تُرجمت من اللغة العربية (Serrano, 2015;Talbot, 1970;Lorch، 2010).

جامعة إشبيلية:
تُعتبر جامعة إشبيلية من الجامعات المؤثِّرة في القرون الوسطى في القارة الأوروبية، ويعود تاريخ تكوينها إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، لكن لم تحصل على الاعتراف من البابوية إلا في عام 1505 للميلاد، وقد تأسَّست الجامعة على يد الرُّهبان الدومينكان في الأساس، ثم طوَّرها الملك ألفونسو العاشر والملقَّب بالحكيم، حيث كان هذا الملك مُدرِكًا لأهمية التراث العربي والإسلامي، لذلك أشرف على أعمال مدرسة طليطلة للمُترجمين أو ما تُدعى مدرسة توليدو. وكان الهدف من الجامعة إعداد المنصِّرين أو ما يُسمَّوْن بالمبشِّرين بيسوع، وقد هدفت الجامعة منذ التأسيس إلى إعداد المنصِّرين للعمل الدعوي في أوساط المسلمين في المغرب العربي وكذلك اليهود، وقد اهتمَّت الجامعة بتدريس اللغة العربية والعبرية؛ وذلك لإعداد الطلاب للمهام التبشيرية، وقد ضمَّت الجامعة أربع كليات؛ وهي كليات الفنون والطب والقانون والإلهيات (عاشور، 2007).

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

استنتاجات الدراسة:

توصَّلت الدراسة بعد دراسة القرون الأولى من نشأة الجامعات الأوربية إلى عدَّة استنتاجات:

- أنَّ الجامعات الأوربية هي أبرز الإنجازات الحضارية التي أنتجتها القارة الأوروبية في القرون الوسطى.
- أن كثيرًا من الجامعات تطوَّرت من مدارس دينية سابقة لتكوين الجامعات، خاصة المدارس الكاتدرائية ومدارس الأديرة.
- أن منسوبي الجامعات كانوا يُعدُّون من رجالات الكنيسة، وكان الطلاب والأساتذة يتقيَّدون بالزيِّ الكنسي، وحتى إنه كان يُطلَب منهم حلق معظم فروة الرأس مع إبقاء الجوانب كدليل شكلي على الإيمان والالتزام الديني. ونظراً لأن منسوبي الجامعات يتبعون الكنائس فهذا يُعطيهم الحصانات لعدم التعرُّض للمساءلة أو المحاكمة من محكمة مدَنية تُطبِّق القانون المدني، وكان يجب أن تقوم محكمة دينية بمحاكمة المتَّهَمين وفقًا للقانون الكنسي.
- كان الغرض من قيام الجامعات الأوروبية في سنواتها الأولى إعداد رجالات الكنيسة، وكانت تُطبَّق الأعراف والثقافات الكنسية في الجامعات في القرون الوسطى، ومَن يقوم بالتدريس في الجامعات كان مُعظمهم من رجالات الكنسية، وقد استلهمت الجامعات من الكنائس الكثير من الثقافات؛ منها مُسمَّيات الدرجات العلمية، وهي: البكالوريوس والماجستير والدكتوراة، حيث كانت تُطلَق هذه الألقاب على مستويات مختلفة في التنظيم الكنسي.
- وُجد نمطان لإدارة الجامعات في القرون الوسطى؛ وهما: النمط الإداري في جامعة بولونيا: وهو أن اتحاد الطلاب هو الذي يُدير الجامعة، والنمط الإداري الآخر: هو النمط الإداري المطبَّق بجامعة باريس، حيث إن اتحاد الأساتذة هو الذي يُدير الجامعة.
- ساهمت الجامعات في تنشيط الحركة التجارية والاقتصادية في المدن التي بها جامعات كون أن الأساتذة والطلبة الذين كان يشكلون نسبة كبيرة من سكان المدن وغالبيتهم مغتربين يحتاجون الكثير من الخدمات مثل الإسكان و التغذية والخدمات الأخرى .
- سبقت الجامعات تكوين الكليات، حيث لم تُؤسَّس الكليات إلا بعد سنوات من تأسيس الجامعات في العصور الوسطى، وقد ساهمت الكليات في تنظيم الأمور التعليمية وشؤون القبول، وكانت معظم الجامعات تضمُّ أربع كليات هي: كليات اللاهوت والقانون والطب والفنون الحرة. وقد تميَّزت بعض الجامعات عن بعضها في تدريس بعض التخصُّصات، فقد تميَّزت جامعة بولونيا بتدريس القانون المدَني، فيما تميَّزت جامعة باريس بتدريس الإلهيات، بينما تميَّزت جامعة ساليرنو بتدريس الطب.
- حصلت الجامعات بشكل عام على التأييد والاعترافات من قِبَل البابوية، وكذلك حصلت الجامعات على الامتيازات والضمانات والدعم المالي من قِبَل قادة السُّلطات المدَنية، وقد ساهمت الخلافات الدِّينية والسياسية في انتشار الجامعات في تلك الحقبة الزمنية.
- لم يكن للجامعات في سنواتها الأولى مقرَّات دائمة، بل كانت تُعقد المحاضرات في أماكن مختلفة غير ثابتة، ومن ثَمَّ تَمَّ تخصيص مقرَّات دائمة للجامعات.
- منذ تأسيس الجامعات كان للدور الطلابي تواجُد قوي ومُؤثِّر في القرارات الجامعية والمجتمعية،فقد كثرت المشاكل والقضايا الطلابية في القرون الوسطى، وتسبَّب الطلاب في كثير من أعمال العنف والشغب والقتل، ويرجع السبب إلى الحصانات والامتيازات التي تحمي الطلاب الجامعيين من التعرُّض أو المساءلة أو المحاكمة من قِبَل السُّلطات المدَنية والاكتفاء بمساءلته من قِبَل الجامعة والسُّلطات الدينية والتي غالبًا ما تقف في صف الطلاب أيضًا، ومن أسباب العنف الطلابي غياب مفاهيم شؤون الطلاب وإدارتهم واللوائح الخاصة بهم في كثير من الجامعات، وأيضًا يُعزى تفشِّي مظاهر العنف في القرون الوسطى إلى صِغر سِنِّ الطلاب، فهم يلتحقون بالجامعات منذ سِنِّ المراهقة في العادة، ويجدون أنفسهم بعيدين عن رقابة الأسرة أيضًا، ولم يكن في بداية تكوين الجامعات إسكان طلابي يتمُّ مُراقبته من قِبَل الأساتذة، وقد تميَّزت الجامعات الأوروبية منذ نشأتها بالتنوُّع الثقافي، فقد تواجد الطلاب الدوليون في الجامعات الأوروبية القديمة بشكل كبير، وأيضًا كان الأساتذة في الجامعات الأوروبية من مختلف العرقيات، وكانت اللغة المشتركة للجامعات هي اللغة اللاتينية.
- غياب دور المرأة والعبيد في الجامعات الأوربية في العصور الوسطى.
- استفادت الجامعات الأوروبية من التراث العربي والإسلامي، وقام الأوربيون بترجمة الكثير من الكتُب والمراجع العربية إلى اللغة اللاتينية، ومن أبرز حركات الترجمة هي تأسيس مدرسة طليطلة للمُترجمين، والتي ترجمت الكتُب العربية في شتَّى المعارف والفنون، ونقلتها إلى اللغة اللاتينية.

ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.27.2023.396
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (27) September 2023 العدد (27) سبتمبر 2023

المراجع

1. أبو المجد، ط. ش. ا. ز.، & طارق شمس الدين زاكر. (2020). نشأة جامعة كمبريدج في العصور الوسطى. المجلة التاريخية المصرية<96-63 ,(54)54 ,

2. البشر، سعود. (2021). التعليم العالي في الولايات المتحدة نظرة عامة. تكوين للنشر. جدة، السعودية.

3. يوسف، جوزيف . (1981). نشأة الجامعات في العصور الوسطى. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت لبنان.

4. عاشور، سعيد. . (2007). الجامعات الأوربية في القرون الوسطى. دار الفكر العربي للطباعة والنشر. القاهرة مصر.

5. Bishop, M. (2001). The middle ages. Houghton Mifflin Harcourt.

6. Blockmans, W., & Hoppenbrouwers, P. (2014). *Introduction to medieval Europe 300–1500*. Routledge.

7. Cantoni, D., & Yuchtman, N. (2014). Medieval universities, legal institutions, and the commercial revolution. The Quarterly Journal of Economics, 129(2), 823-887.

8. Duve, T., Luis Egío, J., & Birr, C. (2021). *The School of Salamanca: A case of global knowledge production* (p. 430). Brill.

9. Grendler, P. F. (1999). The University of Bologna, the city, and the papacy. *Renaissance Studies*, 475-485.

10. Jordan, W. C. (2004). Europe in the high middle ages. Penguin.

11. Lorch, R. (2001). Greek-Arabic-Latin: The transmission of mathematical texts in the Middle Ages. Science in context, 14(1-2), 313-331.

12. Mundy, J. H. (2014). Europe in the High Middle Ages: 1150-1300. Routledge.

13. Oxford University.(2023). History. Retrieved from https://www.ox.ac.uk/about/organisation/history

14. Pedersen, O. (1997). The first universities: Studium generale and the origins of university education in Europe. Cambridge University Press.

15. Peril, L. (2006). College girls: Bluestockings, sex kittens, and co-eds, then and now. WW Norton & Company.

16. Rashdall, H. (1895). The Universities of Europe in the Middle Ages: Salerno. Bologna. Paris (Vol. 1). Clarendon Press.

17. Serrano Patón, L. M. (2015). The School of Translator of Toledo and the identification of Gundisalvo's main contributor.

18. Symoens, H. (1992). A history of the university in Europe: Volume 1, Universities in the Middle Ages (Vol. 1). Cambridge University Press.

19. Talbot, C. (1970). Medical education in the Middle Ages. The history of medical education, 73-85.

20. The University of Naples Federico II. (2023). History.Retreved from https://www.international.unina.it/history/

21. Zampieri F, Zanatta A, Elmaghawry M, Bonati MR, Thiene G. Origin and development of modern medicine at the University of Padua and the role of the "Serenissima" Republic of Venice. Glob Cardiol Sci Pract. 2013 Nov 1;2013(2):149-62. doi: 10.5339/gcsp.2013.21. PMID: 24689015; PMCID: PMC3963738.

22. Zhiri, O. (2006). Leo Africanus and the limits of translation. In Travel and Translation in the Early Modern Period (pp. 175-186). Brill.

23. Zuccato, M. (2005). Gerbert of Aurillac and a Tenth-century jewish channel for the transmission of arabic science to the west. Speculum, 80(3), 742-763.